عابر سبيل

مناهل القرني

اسم الكتاب : عابر سبيل
اسم الكاتب : مناهل القرني
رقم الإيداع :
الترقيم الدولي :
الطبعة الأولى 2017
مراجعة لغوية ، إخراج داخلي : هيام فهيم
صادر عن : مؤسسة زَحمَة كُتَّاب للثقافة والنشر
15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com

دار زحمة كتاب للنشر

za7ma-kotab@hotmail.com

01205100596

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة زَحمَة كُتَّاب للثقافة والنشر
المشهرة قانونًا بسجل تجاريّ رقم 84486

إهداء

إلى كل من يتمنى
أن يملك الحق في الحرية
دون أن يدينه أحد ..

✍ .. مناهل القرني

مقدمة

<< كتبته في يوم واحد ورأيت أنه يستحق أن ينشر >>

نصرة كل القضايا تبدأ بنصرة أنفسنا، ونصرة أنفسنا لا تكون إلا بالوعي بما لنا وما علينا. إن أولئك الذين لا ينتصرون لأنفسهم لم يظلموا أنفسهم فقط بل حكموا على من يجيء بعدهم بالمهانة، وحكموا على التاريخ بأن يظل في انحطاط بأن يكرر عادات الظلم والفساد ذاتها.

تكلم .. لن يمسك أحد بألسنتنا بعد اليوم تسطيع أن تظهر حق أو تبطل باطل أو تصنع التغيير بكلمة ما إن تسكت عنها تتغير أشياء كثيرة.

التغير الحضاري بطيء جدًا؛ أي أن كلمتك تؤثر على مدى مائة سنة للأمام مثلًا في حياة أناس سيعيشون بعدك.

لن أقول لك أن هذا كتاب عن النهضة مثلًا أو كتابًا أدبيًا بحتًا .. كتبته في رحلة تعمدت كتابة كل ما وددت لو يطلع أحد عليه ثم انتهيت من الرحلة بإنتاج هذا الكتاب .. ولي أن أقول أنه خيالي!

إنها الكلمة السحر ...

✍ .. مناهل القرني

الفصل الأول
بداية الرحلة

الأحاسيس هي مشاعرنا التي يستوعبها العقل قبل أن نستوعبها
وهي أكثر حقيقة ومنطقية من حساباتك العقلية العادية
بجمال الخوض في الإحساس لخطأ شكرًا لأنك
منحت إحساسي اللا إحساس كي لا يشعر أنك
ما زلت حيًا فيه .. ما زلت تجعله ينبض حينًا ويموت أحيان
يا صديقي ..
نعم أحببته .. ونعم أحبك لأني أحبهم
ما لقلبي علي إلا السمع والطاعة
أحببتكم لله فيه وله ..
وأحببته مباغتة .. غفلة
ما كنت ملتفتة لقلبي
ما كنت ملتفتة للحب
ولا له ..
كنت في رعب شديد
تعوذت من الشيطان فلم يمسسني
وتلبسني الحب ..
ليتني تعوذت منه
لا أعلم أنعمة أن أكتب

أم نقمة أن أكتب
لا طاقة لي أن أكتب
أم نقمة أن أكتب
لا طاقة لي إلا على الكتابة
متعبة وقدمي مكبلة
ويدي تريد أن تمسح الأرض عن الأرض بؤسها
وتظل تربت على ظهور المساكين ..
هم مساكين وإن ارتدوا رداء الشياطين يظلوا مساكين
منظرهم كرحمة ممزقة الثياب ..
إني راحلة وبقربي أناس موزعون في سكة السفر هذه
ولكني فقط لم أغادر هذه المدينة قط
أريد أن أستنشق معنى السفر
وأعيش التجربة ليوم واحد
وأكون على طريق غير الطريق المعتاد
من تلك المكتبة إلى منزلي ومن منزلي إلى جامعتي
ومن جامعتي إلى تفريغ القهر الذي عايشته في جامعتي!
ثم إلى العمل ومن العمل إلى الكتابة
ومن الكتابة إلى البكاء حتى النوم
أو السهر لأيام من العمل المتواصل
الذي يكون رحمة أحيانًا وإعياء أحيانًا
لطالما أحببت عملي .. أحببت التفاني في العمل
دون أن أكون ضمن فئات رسمية أو حكومية

هكذا أكون أكثر حرية وهكذا تعلمت ألا أستسلم حتى أتعلم
ولا أترك ما تعلمت حتى أنجح .. ولا أنجح حتى أسقطت
تعلمت أن أتعلم من الفشل وأسمع به وأتألم به
ثم أسامح مع كل شيء وأقبل بالقليل وأصاحب نفسي
وأحذر مما يصاحبها
أود لو أكتب!
صديق عابر أهدى إليَّ هذا الدفتر
ربما ليريحني من حمولة ذاك الحمل الذي أحمله الذي يزن طن
ولكن الدفاتر الصغيرة لا تكفي لحزني
ولا لسعادتي ولا لبوحي .. إنها فقط تعيش معي لدقائق
وإني الآن أفكر ما إن تنتهي هذه الورقات أين سأكتب يومي؟
ليتني من هذا الطريق لا أعود ثانية
بل أبقى هناك على تلك الأرض مع أخلاء منها ..
وبيت لي وجامعة "منصفة" لا زور فيها ولا جور ..
وحياة أفضل وكلما اشتقت أتيت قبلت يدَي أمي وأبي
وبكيت على وسادتي وعدت ..
//
كم أحب أن أعيش حرة أتنفس بقدر ما أشاء
وأذهب بهدف وآتي بهدف ولكن بحرية
وبشيء من النقاء والعفوية ..
أن أفعل ما أود فعله إن كان يخدم أحدًا إن كان يخدمني ..
أنا ألعب إن شئت

وأبحث إن شئت
وأكتب إن شئت
وأبقى إن شئت
وأرحل إن شئت
وأضحك إن شئت
وأبكي إن شئت
وأحب ما شئت
وأصمت عما شئت
وأتكلم إن شئت
وأقترب منهم إن أردت الاقتراب
وأبتعد عنهم إن وددت الابتعاد
وأكون نفسي بكل جنون نفسي
أن أفعل ما استيقظت وأنا أتمنى لو أفعل
ما دام فعلي من الفضائل .. وما زال
يحث على الفضيلة ..
//
أود لو أستيقظ فأسافر ثم أعود لأكون أقرب من القرب
طيبة المعشر وبسيطة .. لكن ليس هناك كثير من الناس اللذين
يجيدون التعامل مع الشخصيات الحرة غير المستعبدة
(لا من الشخصيات / ولا من المجتمع)
ربما لا يستوعبون كيف يكون الإنسان حرًا
معجونًا بالحرية ومحتاجًا لها

ومكونًا منها كـ "الماء"
لهذا هم فقط يجدونني "غير متوقعة"
إنهم فقط يكبلوننا .. لا يعون كم نحن متمسكون بالخلق
ربما أكثر منهم
لا يعلمون أن من تبنى الحرية "قيمة" رغم صعوبة تطبيقها
إنه لابد أن تكون لديه سلسلة من القيم التي تجعل منه إنسانًا
صالحًا ربما أكثر من ما هو متداول بين الناس
إنهم فقط ما إن يروا لفظ الحرية بين ألفاظنا يبدؤون بالخوف
والتوجس ربما لو كنا مكانهم لِخفونا لَخفنا وتوجسنا
لا أعلم وأتمنى ألا يأتي يوم وأعلم أني مثلهم
ولا فرق أنهم ما إن يلمحوا طرف اللا معتاد فينا ..
دون التفكير أنه خير أو شر
يبدؤون في حرب الاعتقال الفكري والجسدي
يبدؤون حرب التحكم بما لا سلطان لهم عليه
أتمنى أن يكون لي أطفال ..
ولا أعلم من سن هذا القانون ولكن لا أطفال للأحرار
إن أمهات الأطفال مستعبدون وإن أمي مستعبدة ..
وإن زوجي وإن كان حرًا وإن طموحي مرتبط بالحلم ..
ولابد أن يستعبدني
إن الحلم مرتبط بالحرية وإن الحرية بداية التغيير
وفناء الاستعباد (للبشر والمجتمع)
أساس حروب الأرض والحروب بين الجامعات والأشخاص

هي التقاليد البالية والعادات (استعبدتهم حتى شلتهم)
عن دينهم حتى والأخلاق القويمة
والتعامل الذي يجب أن يتجرد من العنصريات
ما زالت تعيش العنصرية في بلدي
بعدة أوجه ..
بعدة طرق ..
بعدة أسلحة ..
وأدوات قتل وقتال ..
أتى الدين لتمحى العبودية
وأتوا بعد ذلك بالتحرير ليمحوا الدين ..!
ثم خلطوا كل الأشياء في بعضها بعد ذلك
ما إن بدؤوا بمحو الأفكار الدينية لا تصحيحها
أو ترسيخها دون تصويبها
حتى بدأت العبودية بالانتشار من جديد
لأن كلا الفئتين بعيدة كل البعد عن الدين
الذي يهدف إلى تحرير البشر من كل شيء
إنهم فقط حرروا البشر - كما يزعمون -
من الدين فبدأ البشر بعبادة البشر وابتعادهم
والفئة الثانية فقط أرادوا ترسيخ الدين في البشر
فنفروا منه وأصبح البشر يعبدون المنفرين
لا الله الذي تهدف لعبادته كل الأديان
يقولون إن بعض رجال الدين ..

لا يتبعون الأسس الموجودة في الشرع
لذا لن نتهج الشرع كاملًا
بينما من قالوا ذلك لا ينتهجون أسس التحرر ..
بل وأن لديهم عنصرية التحرر
أي إنهم يحاربون الفئات التي لا تشابههم
كلاهما يعيش في عنصريته الخاصة ووهمه
لم يأتِ الدين بغير العفو والرحمة
بينما هم أتوا بما ليس في الدين
ذاك الرجل عندما ينظر في عيني يؤلمني
يشعرني بأني أحتاجه وإني لم أنتمي إلى الإنسانية
أو البشرية بدونه
بينما هو بعد تلك النظرة القاتلة ..
يقول لي ببرود اعتمدي على ذاتك .. وذاتي هي هو
أشعر بأن ذاتي انفصلت عني لتكون هو
يقول لي اعتمدي على ذاتك بعد أن سحقها ..
فأقول له صمتًا .. ذاتي تبعثرت فيك
اجمعني بها
يا صديقي هي هكذا هذه الحياة
تأتي بنا وتعبر فينا
..تحركت العربة!!
وما نحن متجهون إلى هناك
إنما قصدت ذلك المكان للصلاة

ولأتلو آيات من الذكر الحكيم والدعاء
أريد أن أدعو بالشفاء
فجسدي منذ مدة يتمزق
وأنا منذ عدة أيام أتألم
وأمي ترى الألم في عيني
ولكني ما عدت أشكو ..
تعلمت منها
غدًا في الجنة يبدلني الله خيرًا من جسدي
هكذا وعدني إن صبرت
فيكون لي إن أصح ولا أمرض أبدًا
أتمنى لو أركب طائرة
يقولون فيها إنها تحلق كطير

الفصل الثاني
رعد وبرق وموت

(الأرض تنذر بنطق المطر)
قبل مدة أتى برق .. ورعد .. ومطر
وماتت الطيور فوق الشجرة جارنا ..
كانت تتساقط كالمطر ..
وكانت السماء تمطر ماء وعصافير
أمي أطعمت العصافير الميتة للقطط
كي لا يموتوا جوعًا بعد فترة من الموت والقحط
يتركو ن الناس للموت وهم في قصورهم
يبحثون عن الفساد فيجدونه فيهم ..
فيغطوا الأمر كأن شيئًا لم يكن
المطر بريء من دماء الأبرياء
ولكن كالعادة لأن المطر ما له صوت
يظلمونه حتى .. ينطق
لدي إيمان عميق "أن المطر سينطق يومًا ما"
لأن من لا ينصف .. يأتي زمان وينصف نفسه
هكذا جرت سنة الأرض وسنة السماء
لأن من يؤمنون بالسماء .. سينصفهم الله في الأرض والسماء
لدي إيمان بأن المطر سينطق يومًا ما
بذات اليقين الذي قلت فيه والكل يضحك
(سأكتب يومًا ما)

فقط إنهم لا يعتبرون ولا يأخذون على عاتقهم شر ذلك اليوم
إلا تبادر في ذهنهم "إن تكلم المطر فماذا سيقول؟"
الأرض تتذر بنطق المطر!
هذه السنة الحر شديد جداً
يكاد يطهو جلودنا
وكلما اشتد الحر .. اشتد البرد في الشتاء .. والبرد يجلب الأمطار
والأمطار ستغرق الأرض التي سرقوا أموال عمارها
وسيموت الناس
وسيثور الناس
وتتساقط دول
هكذا تقول النبوءة
لهم أن يعتبروا ولهم أن يظلوا ينهبون
في بلدي كل من تولى منصبًا
فقد تولى حكومة خاصة تتحكم
في مصائر الناس بعيداً عن
باقي الحكومات المتفرعة والتي لا تتصل بالأصل
وتلك المصائر باتت تصبح واعية ..
لم يعودوا يقودون سريًا من القطيع
أريد أن أجلس قرب أمي
ما بال تلك المرأة تفصل بيني وبينها
كان لديها هي أم وماتت .. أما هذه فـ "أمي"
//

يبتسمون في وجوهنا .. يبقون معنا
نبتسم .. نبقى معهم
وكل يبقى محتفظًا بنيته ..
يظهر أحيانًا أن هؤلاء المبتسمون
هم ألد أعدائك وأشدهم كرهًا
فقد يكونوا من الصحب أو الأهل ..لا فرق
الفرق في أنك يا ذا النية البيضاء إن تظل حذرًا
ويا حبذا إن كنت متصلًا بالإله الذي في السماء
أن تتوكل عليه وتعمل وتتعامل بالحسنى له
أعطني بالحسنى .. وستذم عليها ..!
ولكن يظل شعورك هو الأفضل عندما تحسن
ويظل أصحاب النقاء والنوايا المشابهة لنيتك يذكرونك بإحسانك
"إن الله كتب الإحسان على كل شيء" حديث شريف
"الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه" آية
ليس كل القول بل أحسنه
ولا يعبدون ما قيل ومن قاله بل يتخيرون أحسنه!
أنا يا صديقي متعبة
أود أن أرتشف ماء وأنام قليلًا
ما زال مشوارنا طويلًا
وما زلت أكتب لك
وما زلت أكتب لك
وما زلت أشتاقه

لا تخبره أو أخبره
إنه فقط يعاديني وأنا
ما اعتدت فكرة العداء
أحبهم جميعًا
وسنة الحياة أن تجد في طريقك أولئك الذين لا يحبونك
إني أتمسك بمثل هؤلاء حتى يدوسوني تحت أقدامهم
ليس عدوانًا على ذاتي بل لأعلم .. لِمَ؟
وغالبًا لا إجابة
تصبح على خير
ليكون الله معك
ليكون الله معي
لا تغب كثيرًا عن أحلامي
أحبك كالندى
أحبك بطهر
أحبك كسحابة
ووددت لو ألقي عليها أحزاني
وأتبعها بدعاء وأغمض عيني عليها
على غير نصب وعلى غير بكاء
النصف ساعة الأولى من طريق السفر
صيف أو خريف أو ربيع
تتشابه في موطني الفصول
يوم الجمعة 28/6/1432

الفصل الثالث
برد وسلام

أنت كالبرد وكالسلام ..
هو كالبرد وكالسلام على قلبي
ولكن أخاف أن أسعد منه حتى
أنسى قضايا المساكين والضعفاء
والمستضعفين والفقراء واليتامى ..
يجب أن أعيش في اليتم كي لا أنسى
هكذا ..
يجب أن تعيش في قضيتك كي لا تنساها
كي تكون صادقًا عندما تتحدث عنها
ربما لو عشت معه لنسيت أسى عمري كله
وإن نسيت الأسى ضاع حقي وضاعت حقوقهم
لن أهرب .. سأحارب
ما عاد لي طاقة للهرب بعد كل تلك المعارك
جميلة هي الأشياء من حولي لم أرَ مثلها
هذه المدينة - أو القرية ربما - تشبه مدينتي
ولكنها خالية، منازلها متفرقة
ومدينتي "تكتظ بالمنازل"
ولا شيء يحميها من الغرق أو الهدم في أي لحظة
لديهم مباني مهدمة وأراضي أصابها التصحر ..

وهناك وزارة للزراعة ما بالها؟!
إن لم تبني - لأنها وزارة الزراعة - فلِمَ لا تزرع؟
//
في هذه المنطقة جبال
أتمنى لو أتسلق واحدًا
لِمَ لا ينشئ القائمون على السياحة
هذه المنطقة كـ "سياحية"
وتكون مركزًا رياضيًا عالميًا لتلك الرياضة
على هذه الجبال الخضراء العظيمة
يخدم ذلك الاقتصاد لا محالة!
والترفيه أيضًا .. والصحة .. والبيئة ..
أحببتك لأني أردت
أن يحمل قلبي شخص واحد
لا أتألم إلا به وأستعيض به عن الدنيا
أحكي للعالم بغيابي كيف تعيش بقلبين
وسأحكي لهم كيف أعيش على موقد
يضخ لي الدم كالحساء بعد ذهاب قلبي
أريد أن أتنفس بك .. رئتي منذ غاب عطرك "معطوبة"
//
يبدو أن مدينة جديدة لم تبنَ بعد إلا مساحة ضئيلة منها
لم لا يعيدون تخطيطها جيدًا قبل أن تبنى ..
ويتجنبون الأخطاء في تلك التي بنيت منذ زمن

لم لا تكون هذه الأراضي أكثر حداثة؟
ربما خضراء ومقسمة وبسيطة لكن مطورة
لماذا يعيدون ذات الأخطاء بالعشوائية
لا شيء جديد .. سيارة حمراء تعبر
والرجل الذي خلفي يتحرش بي ..!
ما الجديد!
//
من فترة اغتصبت فتاة في حافلة جامعتي
والمبكي أكثر أنني أقلهن تدين
إنهن - كما أحسبهن وأرى منهن -
كالراهبات في النصرانية وهبن حياتهن للدين والعلم المقيد
ربما لأنهن لا يعلمن عن الحياة غير هذا
ربما لأنهن أحببن طريق الرهبانية
ربما لأنها فرضت عليهن!
ألم يكن من الممكن أن أكون مكانها؟!
الفتاة كانت تغتصب لأشهر
وما كان لها أن تتكلم ..
خوفًا من أن تقتل لأن طهرها "تدنس"
- القتل من العادات ولا يمت للدين
وحبس للفتاة طوال حياتها في صندوق من العادات أيضًا
- وعندما علمت السلطات نشرت اسمها ومعلوماتها
وأفرجت عن الجاني مع وضوح الدليل وبيانه!

- مع أن الديانة الإسلامية التي تقوم عليها الدولة
تجلد المغتصب ردعًا
ويعزر المغتصب من قبل الإمام أو القاضي
كان يحمل الكثير من الصور والمقاطع لها
هي ما مصيرها؟ هل تساءل أحد؟
//
لا أحتاجه لكي أكون أنا
إنه فقط لا يصدق بإمكانية أن أكون أنا
//
إنني أكتب وأتحدث في آن واحد
الأمر طبيعي جدًا
مثل ذلك الذي يقود العربة ويشرب العصير
ويدخن السيجارة ويتكلم عبر الهاتف!
//
جائعة ..
ولا أماكن لبيع الطعام على الطريق
أولو كان أصحاب البطالات
أنشأوا على هذه الطرق
مطاعم ولو كانت بسيطة
وشغّلوا بها أشخاص
لقلت البطالة؟!
//

لا تنظر إليَّ هكذا ..
لماذا تظن أني سريعة الانكسار
ألأنك كسرتني؟!
لا تنظر إلي هكذا
قد كسرتني بإرادتي
لأني كنت أود لو أتعلم
وكان هذا هو النتاج
أنا يجدر بي التحمل وإعادة البناء
وأنت عليك إما أن تهدي لي (طوبًا وإسمنتًا)
أو تشيح بناظريك عني ..
إنهم يثرثرون كثيرًا
بما لا طائل منه
وحتى حديثهم الملهم جدًا
وأخوه المثقف جدًا لا طائل منه
هذا الزمن لم يعد زمن الثرثرة
ثرثرنا كثيرًا .. بل عشنا عمرنا كله ثرثرة
إنه زمن الفعل فليفعلوا
أو "فليصمتوا"
سأتوقف عن الكتابة .. بدأوا يتذمرون مني
سأختلط بالناس داخل العربة
نحن معشر النساء العلاقات الاجتماعية فرض علينا كالصلاة
حتى داخل دورات المياه والعربات!!

إنهم يسعون إلى تزويجي
- ربما سيشد شعره مني ذلك الزوج -
كلما تكلموا عن الموضوع أضحكوني
ما كان له أن يتحمل "حرة"
تختار الاستبعاد بإرادتها تارة
وما إن يفرض عليها حتى تثور كالبركان
ما كان لرجل عادي أن يتحمل "حرة"
الحرية بحد ذاتها معضلة هنا بالإضافة إلى أني
مجرة وما كان لمجرة أن يدخلها كوكب سائح في الفضاء
إن المجرة لا تتزوج إلا مجرة مثلها
أو ربما .. أحيانًا .. في حالات
ينجح تزويجها من كوكب ضمنها
ولكن ذلك ليس تابع للفطرة التي فطر الكون عليها
هذه هي البلدة أو القرية
تحف الأشجار الطرق الخالية المبعدة
ووسط الأشجار "ميدان"
عبارة عن مسبح دائري
(هذه الليلة تحض على الانحراف)
لأبنائها أن يستحملوا في الميادين!!
إننا نصل سريعًا ..
لهم أن يوصلوني لأبعد من هذا لن أَمَل
ولكن القلم الجاف القديم شارف على الانتهاء

ما كنت لأوقفهم لأطلب قلم من على قارعة الطريق
(لا أعتقد أن هناك مكتبات هنا!!)
تعرف الكتاب من تلطخ أياديهم بالحبر
كما يعرف البنائون وأصحاب الحرف
ويدي تلطخت وأجهدت ..
القلم يقع مرارًا منها وتعجز عن إمساك الورق
الذي بدوره انتشر لينام تحت المقاعد
وينال قسطًا من الراحة ..
أحب الكتابة وأحب اللغة
قد أكتب سيرة يكتبها كاتب أمريكي
لشخصية في سنين في أسبوع ..
ولكن لغتي وقواعدي الإملائية ليست بأفضل أحوالها
مع أني درستها لمدة ثلاثة عشر عامًا
ذلك لأني رغم عشقي للغة ..
لم أرَ امرأة متمكنة منها تستطيع أن تمكني منها
ويمنع في بلدي بناء على الأعراف المتداولة ..
على الرجال والعلماء تعليم النساء
ولو علموا على الأقل جماعة من "هن" "لعلمونا" كما يجب
معظم مشاكل الأمم إن لم يكن جميعها ..
منشأها العادات والتقاليد البالية والتمسك بها ..
تحرروا منها ..
قد تحرروا بذلك الكثير من أسرى المعتقلات

والملاجئ والدور والسجون
واحتفظوا بذلك الجزء الذي لا يمحو الحضارة
ولكن لا يقترن بالسلوك
ما نفعله الآن أننا نمحو بناء الحضارة
في البناء القديم والمتاحف الفنية
التي تميز وطنًا عن وطن ونبقى على تلك التي تميز السلوك
وتعطل القوى ولا تبني شيئًا
لم يكن حبي للكتابة أزليًا ..
فقط كتبت يوم تيقنت ألا أحد سيستمع لفتاة لم تجاوز العاشرة ..
وقتها بدأت أكتب "كي لا أنسى"
لا يقدمون للأرض إلا العنف والحروب وهواهم
ما فائدة قوامتهم إذا طالما كذلك لا قوامة لهم
حتى يستقيم جنبهم
ويعود الرجال رجالًا

الفصل الرابع
أنت .. والزمان

ما كنت لأخاف من الزمان معك
كنت فقط سأخافك
وقد أخشى أن تغدر بالزمن
ما كان للزمن أن يغدر بك
ما كان ليغدر بي
لو لم تمسك بيديه وتعينه
أحببتك ربما
أحببت كوني كالجليد معك
وكالجليد المجروش حين أغضبك
مؤلم أن تكون الانصهار
في فرحك
في يتمك
في حزنك
وفي الاعتدال
تمنيت لو أفقدني بين يديك ..
كل ما عدا حضنك سيدي أشواك
والشوك دونك مزقني
ما كنت لتظلم إحساسي .. أعلم
ولكن كل إحساسي أن أود البقاء
معك فقط

ما زالت خائفة
ربما منك أيضًا
ولكني أود لو أبقى فيك
حتى أستجمع قواي
وأعلم وتعلم "لن أستجمعها إلا وحدي"
ربما تتركني؟
لأستجمعها
ربما تتركني
كي لا أستجمعها
//
خلعت جلدي وعلقته هناك ..
قرب النافذة المؤدية إلى الضوء
وما زلت لحلمي زاهدًا
وخلعت عظامي عند مهب الريح
وضعتها كي تعزف لي ترانيم الهواء
كلما عبرت ومشيت بروحي مجردة
وما تجردت .. منك ..
أحتضن وسادتي فأسمع نبضك
أغمض عيني فأرى عينيك
أقترب من النوم فتوقظني
كي تحكي لي حكايا العشق التي أحب
والرحيل التي أكره ..

أصحاب الأرواح المعذبة يا صديقي
غالبًا ما يجتمعون ويأتلفون
أصحاب الأرواح المعذبة
إما أن يكبروا ليصنعوا من الألم "إبداعًا"
أو يكبروا ليصنعوا "الشر" من الألم
ولكن في الغالب هم أناس لطفاء حين تقابلهم
ولكن تأكد أن خلف لطفهم الكثير من الألم
والكثير من الحكايا والكثير من التجارب
هكذا فقط أحببتك ولا لست القرار الخطأ
لا يوجد في الحب قرارات خاطئة
إنها فقط "القرارات السليمة" و "القرارات الأصعب"
//
ضمني إليك ..
كلهم في حلمي نائمون
ورجال الحلم
لا يشون بالعاشقين
ذلك الحزن الذي أتاك مباغتة
كان بدائيًا .. والحمى تأكل جسدي
ليتك تعي أن المشاعر أصوات أناس
تطلبنا في السماء
تشي الأقلام بي
تشي عيني

تشي يدي
تتمنى لو
تمحي عنك عناء الطريق
وعناء النساء المتناثرات
على قارعة أحلامك
حين أحببتك شعرت
بمرارة خذلاني "لي"
يموت الأحياء حزنًا ..
ليتك تكون عنواني
ليتك تبقى أرضي
ليتك لا تغادر هذه الأرض
ليت الأرض لا تغادرني بعدك
أبقى هنا في أرضي
أبقى هنا في قلبي
ولن يسمع صوت الدفاتر خارجها
ولن يصرخ بك الحرف الذي يصرخ بي
ولن يناديك الحرف الذي يناديني داخلي
لا يهم سأبتعد يوم حتى تنساني الأرض
واليوم في التوراة مائة سنة
وأنا لا أملك من العمر
ما يملكه الرجل من أهل التوراة
الأعمار تقل مع مرور الزمن

كل جيل أقل من عمر من قبله بعمر ..!
في زمن نوح كان رجل بثلاثمائة سنة مجرد طفل ..
حين مات ذلك الرجل في زمن نوع كانت
أمه تبكيه وترثيه "ما زال رضيعًا"
كان الأنبياء قديمًا يعظون فيقولون
سيأتي على الناس زمان أعمارهم كيوم مما نعيش ..
قالت امرأة إذًا أقضيه صيامًا ..!
تريد أن تقضي عمرًا كعمرنا كاملًا في الصيام
كل منا وجد في هذه الحياة لسبب
إنك لا تأخذ ما تستحق بقدر
ما إنك ستاخذ ما وجدت لتحصل عليه
وما وجدت في الحياة بسببه
نسعى لأشياء والأشياء التي تسعى لنا هي ما خلقت لأجلنا
يا صديقي في هذه الحياة إنَّا هكذا عابرون
ومن انتظر أنصاف الناس مات ظلمًا
ومن انتظر رد الخير عاش منتظرًا
يا صديقي أحببته عمرًا من الحب ما كنت لأنساه
وأحببت بعده أبعد هالة الحرج عن قلبي
ما كان يستحق أن يسحق ..
وكأنه عاش فصولًا من العمر
لم تحتسب على عمري
كل فصل كان جزءًا من حقيقة وجزءًا من عذاب

ما كذبت في حب كذب القلم
حكى غيرهم عندما كنت أحبهم
وبكى بعضهم بعدهم عما كتبت
كتب القلم وما كان قلبي قلمًا
إن قلبي .. قلبي وقلمي ما كتب
يا صديقي اعتكاف رجل
كصلب القلم على الملأ
قرأت قصص الرومان وما زلت منبهرة
كيف كانوا يصلبون أولئك العظماء!
اعتكاف رجل كموت قلبي .. لا أتخيل كيف لا أحب؟
وكيف لا يحبني رجل!
كيف لا أكون هكذا زهرة يتجمع حولها النحل في المواسم
وسيأتي يوم وينتهي موسمي
ما من امرأة لا تحب الأمان
سيظل قلمي يكتب ولو لم أحب
- هكذا أظنني -
ويا حبذا لو اعتكفت رجلًا متجددًا
يجعلني أحبه كل مرة كشخص مختلف
بأن يحبني كل مرة بطريقة مختلفة
//
لا تنطق حروب الأدب إلا عندما تكتب في وقتها
ما إن ينتهي وقتها ولم تنشر .. ما إن يموت الحب

يموت الكتاب .. تلك الكتب القديمة المصرح لها
في مكتبتي لم يعد يجوز لها نشر ..
أصبحت رمادًا .. شيئًا ما عاد حيًا
وقد كان حيًا في يوم ما
وهذا الآن "حي"
لا أعلم إن لم أنشره قريبًا
ربما يسبق لعني ما ورد فيه نشري
ولا يجوز اختلاط العوام مع الملعونين
مع الدواب والحروف
أحبه ..! ولن يعيش لا الحب
ولن أعيش له أنا
"إنني لله" لا أريد من الدينا
أكثر من أن تنتهي ..!
سخرني للمستضعفين والمساكين
إن أحببته كنت جاريته
وما للجواري من نصرة أنفسهم
فكيف بنصرة غيرهم
أخبرتك بأنك سندي ..
وليس كل السادة كرام ما أدراني ربما يومًا سأدعو الله
كيف يدعو نساء بلدتي بأن يسلمني من أذاك
وأنا أغسل الأواني والأطباق .. هذا قدر لا تتمناه حرة
أسكن في منزل أخدمهم فيه حتى يبيض شعري

وتتجعد بشرتي كقميص عيد مغسول
بمسحوق غسيل سيء .. لا يكوى بعدها
القميص ولو وضعت قلبي عوضًا عن الجمر في مكواة قديمة
أو وضعت أحدث مكواة بخار في يد محارب ساموراي
أو مصارع من حلبة قتالية
تبًا لهم هؤلاء المتزوجون ..
لِمَ لَمْ يجلبوا خادمات لمنازلهم عوضًا عن "سيدة"!
لا أشقى من الشقاء من الأعمال الشاقة المؤبدة
ولا يقسم ظهر البعير سوى قشة
حين يتعاملون وكأن تلك المهام واجبة مفروضة
وإن ذلك العطاء واجب مسلم به، ما الذي أوصلنا لهنا؟
غير مسموح لقلبي بأن يحب
بالرغم من أنه لا يعيش خاليًا من الحب!
//
عندما تحب المرأة "تعطي كثيرًا"
فوق طاقتها أحيانًا
وتقدر من الرجل أبسط ما قد يفعله لها تقديرًا ..
عطائها لم يكن يومًا رغبة في الهلاك
بل تقديرًا للرجل حتى الهلاك!
وكل ما تحصل عليه "النكران"
هي تنتظر منه أن يقول لها
أعلم كم تحبينني

لا حاجة لأن تثبتي ذلك بكثير من العمل
أو عبارة مثل "إني راضٍ .. توقفي عن العمل!"
هي قد تعمل لإسعاده حتى تنسى معنى
السعادة تمامًا وتنسى كيف بات الكد الذي لا يلتفت إليه سواها
ثم يأخذ عليها على أنه "فرد"
وظيفة المرأة ليست الخدمة في المنازل
قد تخدم أولئك الذين تحبهم برغبة منها
إن توقفت الرغبة لسبب ..
يفترض أن تجد تقديرًا لما فات
ثم إعانة لها فيما هو آت
نقدم حبًا كي يقدم لنا بحب

الفصل السادس
في البيت المقدس .. (زهد وتزهد)

ما زالت جائعة!
لا أستطيع أن آكل هنا والناس حولي لا تأكل
ولا أستطيع أن أقسم فتات خبزي عليهم
وتبقى لي "فتاتة" لأنهم وقتها سيصفونني
"بالتصنع بالعطاء" وربما أدانوني عليه
بأني سبب موتهم من الجوع بعد ذلك!
ربما لأني مؤمنة ومتيقنة أن ما من دابة إلا وعلى الله رزقها
أعلم بأنهم لن يموتوا جوعًا ولكنهم لا يعون ذلك
وبما أن الطعام ليس من مالي سأكتفي بالأكل وتأنيب الضمير
وتأنيب نفسي "لِمَ .. لَمْ أجلب طعامًا لهؤلاء"؟
//
ما باله هذا الرجل نكاد نختم الأربع ساعات وما زال يحدق بي
أشعر بأن وجهي سيسقط من عينيه
ويبقى جسدي الذي لا يراه وورقة!
//
يقولون إن قيادتي لعربتي الخاصة جارة للتحرش بي
لذا أنا في موطني لا أقود
بينما ركوبي مع المجرمين - كما أسميهم -
وانعدام المواصلات
والتكاليف الباهظة التي أتحملها فيها - إن وجدت -

أو احتجازي فيها أو في المنزل أو على الطريق
لا يؤدي إلى ضرر
//
لا عيب في الأماني
لكن ليس في وجهي
الذي يحدق فيه
فليسمني بعيداً عن حرية فعلي ما أريد
//
لا أحب أن آكل أفضل الطعام بل أفضل أبسطه
ولا آكل ما لم أجع فجسدي ليس آلة إعادة تكرير
ولن أضع شيئًا في فمي زائداً عن حاجتي
وغيري يكادون يموتون جوعًا
وهذا ما يسمى بالإنسانية المشتركة
وإن نشعر بغيرنا ممن هم يشاركوننا تلك الإنسانية
كأن نحقق مبدأ البنيان الواحد والجسد الواحد
أن لا نحرم أنفسنا ولا ننسى إخواننا
وبعض المبادئ الإسلامية التي تربيت عليها وآمنت بها
- نحن نشترك في ذلك مع كل الأديان على كل حال
ومع كل أولئك اللذين يشاركوننا القيم -
//
نبذر .. فنسيء لصورتنا وصحتنا وإنسانيتنا
ونكون ضد الحيوانية المشتركة بيننا وبين الحيوانات!

حتى الحيوان لا يأكل أكثر من حاجته
ويرفض ما زاد عنها
//
يسعون إلى التفرقة
وأسعى إلى الوفاق
وتسعى الأديان إلى الوفاق
ويسعى اللادينيين إلى الوفاق
ولكنهم يختلفون!
//
لأنهم "رجال"
فالحرب طريقتهم
ومنهجهم
//
لم يؤمنوا أن بإمكان "المرأة"
أن تجمعهم على الوفاق
عوضًا على الحروب التي اعتادوا عليها
كما استمع محمد النبي – صلى الله عليه وسلم –
لأم سلمة (زوجته) عندما رفض الرجال اتباع أمره في الحج
فذهب إليها يستشيرها فأشارت عليه فاتبعوه وأطاعوه
//
هذه البلد كلها حجارة ..!
لو أن هناك أيضًا منازل بسيطة من حجارة

لغدت أجمل قرية حجارة ملساء أبدًا!
سابقة ومقصد
ولكنهم ما إن قرروا بناءها
أزالوا أصلها ومحوا معالمها وبنوها كعشوائية
كباقي المدن ولم يكسبوا من ذلك
سوى تشويه الطبيعة الأرضية الجميلة
كبلدتي التي ردموا الماء كي يبنوها
وحوّلوا طبيعتها
ولكنها مهددة بالغرق على كل حال ..!
//
لا تحاول تغيير طبيعة الشيء ليصبح كغيره .. لا شيء كغيره!
جد في كل شيء ما يميزه واضح منه الفرق
(ذلك ينطبق على الأشياء والأشخاص)
//
أود أن أزور هذا المكان بكاميرا ذات يوم
وأقوم برحلة ميدانية ورياضية
أتسلق وأمارس القفز من هذا الجبل الشاهق الجميل .. لِمَ لا؟
وأحب أن يكون لدي في مدينتي في وطني كل ما لي فيما سواه
حاليًا ليس هنا مدربون على هذه الأنواع من الرياضة
لو أن النوادي أسست تجمعًا بالاستعانة بمدربيها
لأصبح ذلك مقصدًا سياحيًا ولساعد في الاقتصاد
ولعالج شاكل زيادة الوزن التي يمر بها العالم أيضًا

بالإضافة إلى زيارة الأماكن الترفيهية
التي تكاد شبه منعدمة
ستخبرني بأنها مدينتنا
ليست فقيرة وإننا ضمن
أعلى اقتصاد عالمي
صحيح، لكن لماذا
هناك الكثير من الفقراء؟
وما زال الأغلبية كادحون
يحاربون خط الفقر
لماذا تضطر بعض النساء للبغاء
وإن سعدن به ورضين
فهو ليس من مظاهر الحضارة
ولا عصر الرفاهية
لماذا العوائل لو لم يكن لها معيل "ذكر"
تعيش بخوف التشرد والضياع
فرد رجل جاهل وثمانية إناث متعلمات
الفرد الرجل في بلدي يعيش الإناث لو لم يملكنه يموتون
من العوز والفقر والحاجة والقهر والذل
ولا تفتح لهن أي بيوت
لأنه لا يوجد رجل لفتح بيت باسمه
وليكن الطريق قدر نساء الدولة الغنية!
//

أود لو أمشي .. تعبت من الجلوس ..
لم لا نكمل سير على الأقدام؟
لماذا انقرضت هذه الطريقة في السفر؟
//
أهو مصدر للازعاج أن أقرر تشغيل القرآن بصوت عالٍ؟
نسيت سماعات الرأس في منزلي وأريد أن أشعر بالسكون
بالراحة والسكون
إنني أرتاح .. أغلب ظني أنهم كلهم مسلمون
لن يمانع أحد
سأتركه ..
إن مانع أحد أطفأته ..
//
هناك حفرة عظيمة في الأرض
تشبه عدة مغارات متشابكة أين يغفل أهل المشاريع السياحية
إن كان هناك واحدة
عن هذه؟
جميلة
..
مناظر جبلية لماذا لا أرى من يصورها؟
لماذا لا أرى سائحين هنا؟
سأمتع عيني قليلًا وأتذو ق هذا النعيم
//

عندما كنت في البيت المقدس
الذي في مكة
- على أمل أن أزور الذي في فلسطين قريبًا -
اقترب مني رجل يسقي
بعد أن أنهكني التيه في الأرض
التي ما عرفتها إلا سماع وشوق
//
يأتي إلى الصلاة وعينيه عليّ
كان يفترض من عينيه عليّ
كان يفترض من عينيه أن تظل عليه
وعيني التي في السماء ترجو شيئًا من خلاص
لم تحصل على أكثر من النكوص إلى أسفل والبكاء
على ما يقترف هذا الإنسان في هذه الحياة
لم يحصل على أكثر مما طالته عينيه
- وشيئًا من الذنوب -
وحصلت كل شيء مسبقًا
في بيت الله كل الشموع
في السماء مضاءة
الأماكن المقدسة وجدت للعبادة

الفصل السابع
بين العلم .. الحب .. والمسئولية

تربيت في بيت بسيط
تعلمت تعليمًا عاديًا تقريبًا
كثير القيم والمبادئ
وكم أحببت تلك المبادئ البدوية
والكياسة في التعامل
كنا مدللين .. ولم نكن كذلك!
تعودنا على أن يفعل أحد ما لنا كل شيء
حتى تعطلت قدرتنا على العمل وشعرنا بالعجز
أصبحنا كمشلولين بعدها أصبح كل شيء يغدو أصعب فأصعب
ففي مرحلة ما لابد من أن نعمل لأنفسنا
//
إنني أسميها حماية زائدة وهي عرف مجتمعي أكثر من إنها دلال
هذه الحماية الزائدة أزيلت ذات يوم بلغنا فيه
وأُلقينا للحياة نحترق وكأننا أُلقينا في النار
مرحلة الطفولة ومرحلة الصواب والخطأ
وضعها الله لحكمة التدرج
تسقط صغيرًا مرة أو مرتين
وعظامك لينة لا تتكسر ثم تتعلم
أما أولئك الذين يسقطون وعظامهم صلبة
تنكسر عظامهم من السقوط الأول

يحترق الطفل مرة ويتجدد جلده بعد أن تعلم ألا يمسك ساخنًا ولا يقترب من الموقد
ونحترق كبارًا ويظل الحرق أكثر حياة
وأكثر إيلامًا ونتعلم متأخرًا جدًا
وتصبح التجارب العادية للناس مؤلمة جدًا
يفعل الناس الأعمال العادية ببساطة
وننجز ذات الأعمال بعد أربعة وعشرين إغماءة!
- لكل ساعة في اليوم الواحد! -
//
لكننا مسئولية ..
والدنيا
البيت في غيابهم
أنفسنا وعجزنا
وبعض الأمور
يؤول إلينا كفنيات
كثير من المسئوليات
التي يتحملها النساء
وأكثر من تلك التي يتحملها الرجال
كان الرجال في العائلة في تلك الفترة يتعلمون
وتعلموا ..
فأصبحوا أصحاب علم ولكن "ليس أصحاب مسئولية"
لذا تجد النساء اليوم يعمرون الأرض بمسئوليتهم اتجاه

عائلاتهم، آباؤهم، أزواجهم، أبناؤهم
والرجال يدمرون الأرض بعلمهم
ويدمرون العلوم السابقة بالشك
بينما لم يضيفوا جديداً باليقين
//
هناك رجل تعطلت عربته لو كنت أنا التي أقود ..
لعدت وساعدته بينما يمشون وكأنه ليس في الخلاء وحيداً
//
الشك يا طفلي يكون طريقًا للعلم ..
إن استخدمته للاكتشاف في العلم
ما فائدة الشك إن جئت به لتطعن به العلم الموجود
وتعيدنا إلى الصفر
طالما أنك لم تأتِ بشيء يجعل صفرك واحداً؟
//
لا شيء أكثر إبلاغًا من الكتابة هكذا تيقنت ..
يضيع صوتك
يخف الصوت كلما صعد إلى السماء
وكلما غرسناه في عمق الأرض
تموت ويموت صوتك معك
ولم يؤمنوا بشيء مما قلت
ويظل ما كتب ربما في يوم ما يوقنوا
ما عليه أقداموا

إن تخبر أحدهم بشيء ليس أبدًا كأن تضعه أمامه
أن يكون ملموسًا أمامه يعني أن تهمله من الزمان ما يحتاج
لتحليله ونقده وإيجاد الحق فيه أو الباطل والرد بالفعل
لأنه لن يستطيع الرد على الفعل بالكلام
إنهم يردون على الكلام بالكلام ..
والكلام لن يغير من الحقيقة كونها حقيقة
مثلًا ...
الفعل هو ما يكشف الحقائق
لهذا بت أتجنب الكلام كثيرًا
ما عدا في الحب .. والتحفيز
//
إنني أكتب لك ما تريد يا صديقي
لم تخبرني بذلك هم أخبروني
إنك تحب أن يروى لك حتى العلم
أقاصيص وأن ترى النص أدبيًا
منمقًا حتى تقرأه وإني أمنحك ما تريد
وإني أكتب الصعب بالسهل كما أريد
//
أخبروني أنك تمل من تلك الكتب غير المعجونة بالأدب
ها أنا أعجنها لك
//
النهضة هي فقط أن تستيقظ مبتسمًا برغبة في الحياة

والعمل على هذه الرغبة لا يحصل عليها الأشخاص المحبطون
والحب هو الذي يقتل الإحباط
الحب غير المشروط
وغير المقيد في العلاقات
كمبادلة الأهل الحب
كمبادلة الناس الحب
النهضة أن تقدم العمل بحب وإتقان
"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه"
محمد - صلى الله عليه وسلم -
إذا وجدت خطأ في أعلى البرج فتفقد الأساس
رأيت رجلًا مصابًا بالشلل الكامل
وامرأته بقربه تحكي له القصص "فيضحك" وتضحك
فكرت لو كان زوجي ومرض هكذا
في الغالب سأحبه أكثر لأنه يحتاجني أكثر
عكست الأمر .. لو كنت أنا؟ .. لتركني!
أو كسر قلبي فتزوج غيري
أو خانني حتى الموت وطلقني مخذولة
أو سحقني فأساء معاملتي
مساكين هن النساء!
//
هي .. ليست بعيدة عني
"فتاة مثلي"

حبسوها عن العلاج حتى توقفت عن الحركة تمامًا ..
بينما هي تركت حياتها كاملة لخدمتهم!
برتهم .. كان من المفترض أن يبروها
برتهم ولكنهم لم يبروها
والمنشأ "تقاليد"
//
تُحبس خوفًا من أن يُفتن أحد بجمالها
أو تُفتن هي بأحد!
حتى أن تلك الفكرة توغلت ..
لدرجة أنها أصبحت تمارس بشكل تقليدي
وفي الغالب باسم الدين
في دين من هذا؟
كاذب إن قلت "الله"
في أي دين شئت ولكنه ليس من أديان الله
التقاليد ظلمت المرأة
بينما الدين أنصفها
//
عبدوا الأصنام عمرًا وهؤلاء عبدوا عقلهم المتحجر بعاداتهم
عبدوا الأصنام عمرًا وأولئك عبدوا عقولهم المتحجرة بعادتهم
عبدوا الأصنام عمرًا وأولئك عبدوا عقولهم بقصورهم
//
ركبت تلك الحافلة وأنا على يقين ..

أني سأكتب للنساء
سأكتب للطريق
سأكتب للعابرين
سأكتب لأحبك
سأكتب كم أحبك
سأكتب لك ولي
ولصديقي ولهم
وسأغلق كتابي
ليقرؤه وأنساك
وترحل وأرحل
سيكون الطريق ممهداً بالنساء بعدي
ستعود لحبها الذي تنتظره
ستكون بانتظارك
وسأبحر في أمور بعيدة كل البعد عنك
سأذكرك بالمدح
سأذكرك بالذم
وأبحث عنك لأتحلل
وأطلب العفو
ولا أجدك
ما كنت قبل ذلك أجدك على كل حال
//
وكم عدد السنين وأنت لم تزل كل سنيني؟

الفصل الثامن
ما أحببته!

ما أحببته!
يشبه أبي
ذلك الرجل الذي علمني القيم في غير زمانها
وجعلني أنا في غير زمانها
- ثم خرق بعضها -
وأنا أحب أبي
لم أحبه .. أحببت أن يكون سيدي
وأن أستعبد
بيد وأتحرر بأخرى
//
يا صديقي أنت ملهمي لأنك مثلي
ولأني أراني فيك وكأنك توأم لروحي
التي رأيتها قبلك
إني أكتب لك لأني لا أستطيع أن أراك .. لأخبرك
وإني أكتب لي لأن الكلام يحترق داخلي
أتمنى أن أستمر في سرد القصص
أتمنى ألا ينتهي القصص أو أنتهي منه
أو تنتهي من ذاكرتي أنت
فالحائط مليء بالكلمات
التي أحدثه بها فيثقب

جدار الغرفة التي ليست غرفتي
مثقوب وجدار غرفتي تسكنه العفاريت الصديقة
وأنا لا أحب الأشباح
مع أني منذ فترة حلمت أني أربت على كتف
شبح يود أذيتي وأقول له "لا بأس"
إن الله يبارك تلك القلوب المشبعة بالرحمة
لتكن رحيمًا أبدًا
ولكنه كان يتميز من الغيظ
كل الناس وحتى أولئك الذين آذوك فهم أسباب
دخولك الجنة في حياة الخلود أما في هذه الحياة الفانية
كلنا قادمون وكلنا راحلون
نستقبلهم وكما استقبلناهم نفارقهم
//
أريد قلم حبر جاف
لأكتب مأساتهم فلا تمحى
من على سطح الورق
أريد قلم حبر مائي لأكتب لك اليوم وتزول غدًا
//
أشعر بالألم كلما فكرت أن قرارك صائب جدًا
ربما أنت فقط حبر القلم كأولئك الملهمين
تعيش هنا
//

كنت رقيقًا جدًا عندما تركتني رأفة فنحن كساد لبعضنا
كنت قاسيًا جدًا عندما لم تحاول
//
يصنع الله المعجزات ويصنع الله الوفاق بين الذين يحبهم
لعل الله أحبنا
لعلك تكون الأماني لي وأكون السكينة لك سرًا
ونكون العدوان جهرًا
//
لا بأس إن رضيت بالعزوف عن الجهر ثم اتضح ما هو واضح
أننا لن نكون كتبًا
سأبكيك أكثر فقط
//
لا شيء يشبهك
لا شيء يشبهني
ربما هذا يكفي
صديقي لدي ميل للبكاء من هنا حتى آخر هذا السد
الذي يفصلنا عن الحياة الأخرى ثم البعث والحساب
//
إنهم يحدثونني ويريدون مني أن أتحدث
ووددت لو أقول لهم
"إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا" سورة مريم

ولكن ما بين يدي عيسى يقول لهم
إني رسول الله ..
وما كنت لأنجب نبيًا لو لم يكن خاتمهم قد أُرسل
و"مات" لدعوت الله أن أنجب واحدًا
وأموت وولدي نبي معصوم وأمه قديسة
ما كنت لأحتمل النور يخرج من جوفي كنت سأموت حتمًا
ولكنني أحيانًا أتمنى لو أن عيسى يتكلم عني
//
حريتك هي تعبيرك عن نفسك
عندما يتعدى ذلك إلى أذية لأي كان
فإنك عبرت من نطاق حريتك لتتعدى على حريته
والتعدي قمع واستبداد
لا تنادي للحرية وأنت في عداد "المستبدين"
//
كان انطباعه عني أني "وباء"
خاف أن أتفشى فيه ربما
أردته أن يكون سيدي
يذكرني بـ "عمر بن الخطاب"
ذلك الفارس المسلم قوي الإيمان
الذي أيد الله به الإسلام
وأنا أحب عمر

ما أحببته
يشبه أبي
ذلك الرجل الذي علمني القيم في غير زمنها
وجعلني أنا في غير زماني
ثم خرق بعضها
وأنا أحب أبي
لم أحبه .. أحببت أن يكون سيدي
وأنا أستعبد
بيد وأتحرر بأخرى
//
يا صديقي أنت ملهمي لأنك مثلي
ولأنك أراني فيك وكأنك توأم روحي
التي ما رأيتها قبلك
إني أكتب لك لأني لا أستطيع أن أراك
لأخبرك
وإني أكتب لي لأن الكلام يحترق داخلي
أتمنى أن أستمر في سرد القصص
أتمنى ألا ينتهي القلم
أو تنتهي من ذاكرتي أنت
فالحائط مليء بالكلمات
التي أحدثه بها فيثقب
جدار الغرفة التي ليست غرفتي مثقوب

وجدار غرفتي تسكنه العفاريت الصديقة
وأنا لا أحب الأشباح
مع أني منذ فترة حلمت أني أربت على كتف
شبح يود أذيتي وأقول له لا بأس
إن الله يبارك تلك القلوب المشبعة بالرحمة
لتكن رحيمًا أبدًا
ولكنه كان يتميز من الغيظ
//
كل الناس وحتى أولئك الذين آذوك في حياتهم الفانية
كلنا قادمون وكلنا راحلون نستقبلهم وكما استقبلناهم نفارقهم
أريد قلمًا جافًا
لأكتب مأساتهم فلا تمحى
من على سطح الورق
أريد قلم حبر مائي لأكتبك اليوم وتزول غدًا
//
أشعر بالألم كلما فكرت أن قرارك صائب
ربما أنت فقط حبر القلم كأولئك الملهمين فقط
تعيش هنا
//
كنت رقيقًا جدًا عندما تركتني رأفة فنحن كساد لبعضنا
كنت قاسيًا جدًا عندما لم تحاول
//

يصنع الله المعجزات ويصنع الله الوفاق بين الذين يحبهم
لعل الله أحبنا
لعلك تكون الأمان لي وأكون السكينة لك سرًا
ونكون العدوان جهرًا
//
لا بأس إن رضيت بالعزوف عن الجهر
ثم اتضح ما هو واضح أننا لن نكون
كنت سأبكيك أكثر فقط
//
لا شيء يشبهك
لا شيء يشبهني
ربما هذا يكفي
ربما هذا لا يكفي لشيء!
//
عندما لا يكون الإحساس صائبًا نحن فقط نتجاهله
أما أن من حق هذا الإحساس صائبًا نحن فقط نتجاهله
أما أن من حق هذا الإحساس أن يحيى
ولن يحيى لأنك حكمت بإعدامه
إنه فقط داخلي سيختنق حتى الموت
وسيموت وأكون أقوى وأحب من جديد .. وكفى
//

لا رجل سيمنحني الانكسار بابتسامة مثلك
إنني لا أحب أن أقرأ ما أكتبه ما إن أكتب شيئًا جديدًا
كيف لي أن أنقح ما أكتب؟ لا أنقحه
ليعلن الكتاب الحرب على أسلوبي غير المنمق
وليحيى حيهم وميتهم ثورة على نظامي غير النظامي
حتمًا سأسقط ..
وأجمل النجاح ما كان سقوطًا عن المعتاد لغيره
//
إنهم مغرمون بالتعقيد
لدرجة أني أراهم كيف يلفون الحبال حول أعناقهم
معقدة ومتشابكة ولن يحلها سواهم ..
كلما حاولت جذب حبل آذيت صاحبه
//
رأيتك في المنام تخبرني بأمر
واستيقظت ولا أدري أحلم كان أم حقيقة
وبما أني كنت "عابرة سبيل"
كان من المستحيل أن تكون حقيقة
ثم نمت فجئتني وأيقظتني
فاستسلمت وبقيت مستيقظة
لا أنت تأتي ولا الأحلام
فقط الشوق والنجم والقمر والعربة
//

أنت تحبيننى لأني مستغنية عنك بالله ثم بى
إني فقط أعبر منك إلى ذاتي
ولو كنت احتجتك صديقة للحظة
لتركتني للحاجة!
أرايت نحن البشر هكذا ..
//
يقولون إن من يرى رجلًا يعرفه في المنام فهو يرجو منه شيئًا
فماذا كنت أرجو منه؟ أن تأتي؟
كنت تحدثني في المنام ولكن صوتك لم يكن مسموعًا لي
أهذا يعني أني لن أسمعه
وأن ما أرجوه لن يأتى؟
الصوت الهادىء الذي يوحي بالاطمئنان
ويقول علم النفس إن ما نحلم به
يفكر فينا أو يحلم بنا في ذات الوقت
- تخاطر الأفكار - ما أن تكون ذات مغزى
وحقيقة حد عدم التصديق
يقول المؤمنون إنه خطاب أرواح
//
إن كنت أرجو صوتك فقد انقطع في المنام
ولو كنت سمعته لكان بشارة بأني سأسمعه في الواقع واقعًا
هكذا تفسير الأحلام ليست كلها مبشرات
لطالما حلمت بهذا الحلم

كل أولئك الذين لم أسمع أصواتهم حلمًا
ما عدت لأسمعه حقيقة
//
أحبك كالندى
كنت أتمنى لو كنت زهرة
أحط عليك .. أنضم إلى عقبك
وأتبخر منك
أحبك جدًا
الهمس يقول للهمس
ما يعجز عن إتيانه الصدى
من هذا المنظر البديع العالي
//
لم تكن الساحرة طيبة .. في قصتي
لم تسحرني لتمنحني قدمين عوضًا عن ذيلي
لأقابل الأمير فوق الماء
بل أرادت أن تسلب قدمي فلا حراك بعدها
كانت تنظر إليّ متعجبة كل صباح وأنا مستمرة بطقوسي اليومية
الخروج مبكرًا ورؤية الشمس وتنفس الهواء النقي أول الصباح
أسبح الله ثم أستمع إلى الموسيقى الهادئة وأعبث مع قطتي
وأرى الأسراب كيف تمضي وأحاول تسميتها
قبل أن تعبر بعيدًا
أو فقط أردها إلى أسمائها الحقيقية

كانت تنظر إليّ بتعجب لساعات بينما أحاول تجاهلها
هي متعجبة كيف وقفت
وكيف استطعت الابتسام للصباح من جديد
مسكينة هي لا تتعلم
وإن امتهنت الأذى فقد امتهنت الصبر والتوكل
لا بأس بقليل من الألم أو أكثر منه أضفيه إلى صاحبي
إن كان الألم سيوقف الناس عن الحياة
فهذا معناه أمر واحد
أن الأرض قررت الاعتزال عن الدوران منذ زمن بعيد!
كلنا يحمل الألم بقدر معين
لم يتجاوزه ولن يأخذ أقل منه
كنت أتألم .. إن بترت رجلي
ما كنت أشعر بألم بترها وسط ذلك الألم
ولكني كنت أمشي
وأحارب الإغماءة التي تحاول أن تباغتني من التعب
ليس كل الساحرات في القصص
إنهن يعشن بجوارنا في الواقع
إنهن في كل مكان
سأتوقف هنا .. بدأت أتوعك
وأشعر بالنوم والنعاس
ربما أفضل أن أكمل الطريق سيرًا

الفصل التاسع
اشتقت

اشتقت لك وكأن جهنم في صدري
وأحببتك رغمًا عني هكذا أرادوا بك أن يدنسوا قلبي
كان قبلك قلبي طاهرًا من العشق
أرادوا أن أحبك حبًا ما وجد له شبيه على الأرض
أخذوا قلبي غمس في وعاء فاتسخ بك
وتلوث وأصبح مريضًا
كان قلبي قبلك طاهرًا
لم يكن مصدره قلبي
كنت مرغمة وكأن شيئًا يدفعني
لهذا ما اقتنعت يومًا بحياته
لهذا ما كان يجدر بي أن يعيش
لهذا لم يباركه الرب
المتشددون والمنحلون والذين لا يملكون عقلًا في كفة واحدة
الفئة الثالثة غير المحاسبة لا في الأديان ولا عند البشر
والفئة الثانية يسيئون إلى أنفسهم
والفئة الأولى يسيئون إلى الدين به
كل شيء في متناول يدنا ما لم تتكل على الحكام
دعوا لهم حفظ الأمن في البلد
ودعونا نتكفل بإعمارها
أو تركها والهروب من القهر

محبرتي خالية ربما كل أولئك الذين مروا عليها وافتهم المنية
إني هناك أنزف وحيدة
وأزف وحيدة
وأبكيك وحيدة
وأشتاقك وحيدة
وأذمك وحيدة
وألف نفسي بنفسي
وأدثر نفسي بنفسي
وأبكي نفسي
وأبكي لنفسي
وأغني
وأرتل
وأرتل ثم أغني
وأواسي أقوامًا
وأجرح آخرين
وأذكر أقوامًا
وهم ميتين
وأستثني أقوامًا
وهم أحياء
وأبني وأهدم
وأهدم ثم أبني
وأبقى وحيدة

وأظل وحيدة
ربما سأتفق مع أحد التوائم الروحية
الذين يتبادلون معي الولاء الروحي للطيبين
أن إذا اقتربت من الوفاء عندما أكبر على محبرة
مت بقربي، فما أشد بؤسًا من أن أموت ومحبرتي وحيدة
//
لا بأس بما أني مؤمنة بالبعث ربما أطلب من الله
أنت في الجنة وأن يمنحك قلبًا من نور لا يظلمني
على كل حال "لا ظلم في الجنة"
يا صديقي الهواء يعبر من خلالي وكذلك الزمن
وأحلامي لا تساوي شيئًا كلما قارنتها بأحلامهم
ما فائدة أن أنسى الألم وأعيش مع صديقي
"البرد والسلام"
وينسيني كل ما عشته قبله من الألم
تعديت مرحلة النسيان لا أريد الآن أن أنسى أبدًا
أريد أن أبقى في الألم وأتألم وأتألم .. كي لا أنسى كي أتذكر
حتى يعود لكل ذي حق حقه يجب أن أتألم يجب أن أتذكر
يجب أن أتذكر كيف تأملت
يجب أن أتذكر كيف تأملوا
يجب أن أتذكر أني علي أن أذكرهم
يجب أن أتذكر أني عشت أحترق
وسأموت مكبلة ومغلوبة على أمري وأحترق

إنه فقط يقدم لي هدنة مع النار
بأن يمنحني البرد والسلام الذي لن يطول
إنه فقط سيتلو عليّ تعويذة الحلم حتى أستيقظ على الواقع
ولا يعود في يدي قدرة تغيره
إنه الشر بحد ذاته مرتدي رداء الحلم
وأنا أفضل أن أكون مع الحلم مرتديًا رداء الشر
أن أجد في الشر حلمي الذي يظل كلما نسيت يذكرني
وأن يكون في يدي قدرة أن أمسح على جسد الشر فينقلب شعاعًا ونورًا مبينًا
فكل ما اتحد مع الخير أصبح خيرًا
وكل ما اتحد مع الشر أصبح قوة
لنكون بعد ذلك الخير مع من نستحق
والقوة العادلة مع الشر
لنكن قوة لا تقهر
عوضًا عن أن أكون مع ما يجعلني "عمر فراشة"
والله العالم ما أقصر عمر الفراشات
خالدة هي الأشياء عندما تحمل هم الغير
فانية هي الأشياء التي لم نفكر بغيرنا حين فعلناها
القلم لا يكتب ..
سأبحث عن قلم ثم أعود للكتابة
أو أغفو على القدر
ريثما يعود القلم يكتب

حلمت أني أرجو صوتك
وحلمت أن هذا لم يتحقق
أتشك في قدرة الأحلام على نقل الواقع
//
أتريد أن أنام على غيمة
أو أنام على صدرك
كلاكما يحقق ذات الغرض من السلام
المؤقت الذي يؤذن بالسقوط عما قريب
أعتذر لأني أحببتك
ولكني كنت مرغمة ما عاد أحد يهدي كساء العارين
وأهديتني صورة كساء
كنت سعيدة حسبتني أرتديه
لا توجد خيبات خالصة ..
وجدت الخيبات لنصنع منها الفرص
التي لن تتكرر إلا بخيبة
إذا كان لابد من الألم .. فاصنع شيئًا به ..!
تصبح على كل الأشياء .. إلا أنا

الفصل العاشر
أحبك هكذا .. بعيدًا .. أود لو تقترب

إني فقط أتحدث بلغة لا تفهمها
"لغة الحب والسلام"
كنت أقل تعقيدًا فيما مضى
أما الآن فأنا
"معقدة كشبكة"
و"حرة كطائر"
ومختلفة كنفسي
لا شيء تشبهني به
ولا شيء تنسبني إليه
إني فقط هكذا
بكل بساطة ..
وبكل تعقيد!
دائمًا أولئك "الفريدين"
لا يفلحون في الحب أبدًا ولا يلتقون فيه
لأن الحب يحب المشابهة فقط
وبعيد القصص المتشابهة فقط
إن الحب يهابنا
إن الحب يهابك ويهابني
لأنك مختلف
ولأني مختلفة

ما كان ليجمعنا
أتستيقظ تبحث عني
أتمسك قلبك لتتحسس
"وجودي"
- أو وجوده -
أو أحيانًا كي لا يفر إليّ ويتركك شهيد خيانته
للجسد الذي انتمى له
أم أنك تستيقظ مسرعًا
لا تلتفت لشيء
تهرب من النوم إلى نفسك
وتمشي معتزًا بنفسك
وتسعى لتعمل نفسك
وتحسن لتحسن نفسك
أمام نفسك
هؤلاء العاملين لأنفسهم من الرجال "كثر"
ذلك أن الرجل لا يفعل شيئًا يخالف هوى نفسه
وتفعل المرأة كل شيء لكل أحد وقد تنسى نفسها
يا معشر الرجال جُبلنا على العطاء ..
وما وجدنا منكم غير الأخذ والنكران
إنهم يفكرون ما بالها هذه طوال الطريق وهي تكتب؟
إنهم يودون لو يعيشون في ورقي
أو أن أحلامهم بسيطة لا تتجاوز رؤيته

أعذرهم لا هم لهم ..
إني أحمل هم الأرض وأكبر همومهم أنا
اتبعوا ما تتلوا الشياطين
كاذبة كانت الشياطين
افترت الكذب على سليمان
واتبعهم الأراذل من الجن والأنس
//
أنا لست إلهة ..!
لو كنت كاملة لأحببتك
ولكني مجرد فتاة .. في مجتمع يربيني على الجهل
كي لا أتمرد على عبادة الناس بتقاليدهم البالية
لن أدعي الكمال أبدًا ولن أقترب إليه لأناسبك
وكذلك أنت بشر لن تصل الكمال وإن ادعيته
كل أرض سكنتها أرضي
كل أرض تغادرها تغادرني
أحببتك حتى فقدت طريق الرجوع إلى قلبي
من يدلني على قلب أبيت فيه إلى حين
مسكين هو قلبي عشت به أحترق
وبه سيحترق فأعده لي
لا حاجة لك بقلب مهترئ
أستيقظ وأنا أمسك موضع قلبي "أشعر بالفراغ"
أستيقظ وأنا أبتسم لك وكأني أراك

ثم أضع رأسي بين جوانح وسادتي وأبكي
ثم أستقبل الحياة هي تخلو منك هي تخلو
وأنت فيها وأنا فيها
وكأنك كنت تحكي لي حكايات حتى أستيقظ بك
//
أشعر بأن الشيطان يريد أن يبعدني عن القراءة
والخير الذي فيها بالكتابة ولكني فقط
أود لو أنتهي من كتابة شيء لا أعرفه
لأصف أمرًا ما يحدث لا أستطيع وصفه
لا أدري أشعر بأنك موجود وغير موجود
- أنت -
وكأني أحبك ولا أحبك
أريدك أن تكون هنا لأفضل لو تبتعد
أريدك أن تبتعد حتى أفضل لو تكون هنا
أستيقظ وأنا أمسك موضع قلبي
أشعر بأن صدري فارغ
وأشعر بالبرد ثم بالنار تحرك دمي
ما عاد لجسدي من مضخة
دمي يشعل النار ويضخ نفسه كالحساء
وعروقي انصهرت
وداخلي صامد بذاتي ومرتبط بالسماء
ما كنت يومًا قوية كاليوم

إني لطالما كنت أضعف من ذبابة ومازلت
إنني أدافع عن قضية وأستمد قوتي من المساكين
الذين لا قوة لهم وأنا منهم
وهم جزء مني
إن القوة في كوني تقبلت "ألا أكون قوية"
اشتقت هل أشرب "ماء" فينطفئ الشوق؟
//
لا تبكي يا أمي كلهم راحلون ونحن كذلك
لا تبكي يومًا ما سيبكوننا
"ذهبوا اليوم" ..
هذه الكلمة تكفي
لتخبر التاريخ بذلك
ولترثيني وحدها
//
لا أعلم هي هكذا القهوة
تنتحر فتلقي نفسها على الموقد المتقد
فتغضب أمي وأستيقظ أنا من سكراتي بك
//
لا أدري هكذا منذ أيام كل صباح
لابد أن أكسر فنجان قهوة صباحيًا
إنه وحده ينساب من يدي
إني وحدي أنساب من الدنيا إليك

أكتحل حتى في الليل إن الكحل قوتي إنه ستاري
أضع الكحل في عيني وأنام فلا أعلم أني حزينة
هم لا يعلمون .. يدينوننا كما ندينهم وندينهم كما يدينوننا
هم لا يعلمون .. لا أحد هو تجريد أحد
لا أحد يعلم ما بالآخر
كل منا بقصته ومعضلته التي لا يشاركه فيها أحد
كل يعيش بأمله وتحمله
كلنا في شقائه
كلنا في شقاء وكل منا يختار كيف يعبر عن شقائه
كلنا يتألم نحن لا نعلم كيف يتألمون ولا هم يعلمون كيف تتألم
جنتي في الأرض أنت وجنتي في السماء سأطلبك أنت
ما أجمل أن يكون في السماء أنت وهم وجميع من أحببت
في السماء هم .. سأحكي لله عن كل شيء كل شيء
ما يفرحني وما ساءني ..
سأخبر الله أن يحميني في حماه
ويظللني وصحبي فالحياة هي السماء
فالحياة هي ذلك المكان الفسيح
بلا قوانين تجعل لا حق في صحبة صحبي

الفصل الحادي عشر

انصروا أنفسكم ..

لن ينصروا نملة في قومها فكيف بأمة

نحن لا نعي كيف ولا نتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة
لأنهم في بلدي يعزلونهم عن المجتمع ..
ويعزلوننا عنهم دون أن نعي ودون أن يعوا
إن أهل أولئك المساكين يقتلونه حبًا ..
وبالطبع لن يكون حبهم إلا بموت ذويهم
لأنهم لا يعلمون كيف يتعاملون معهم ..
فيظنون أنهم يضعون لهم الطعام
بينما هم يضعون لهم السم
ويظنون أنهم يحمونهم
بينما هم يعطلون قواهم
//
وظيفة الحكومات الحفاظ على الأمن من الحروب
وإعطائنا المال هذا جل ما نرجوه منهم
ووظيفتنا إعمار الأرض
اتركوا اللغو وأعمروا الأرض التي تحت أقدامكم
لو كل منا نظر تحت قدميه وحارب لأجل أحقية امتلاك
تلك الأرض الصغيرة وعمرها لأصبحت حياتنا جنة
لا تطالب .. افعلْ
لن يمنحك أحد شيئًا ما جاهدت حتى تمنحه لنفسك
//

أنا لست عيبًا .. أنا لست خطيئة
وبئس لكل التقاليد إن جاءت لتقول عني كذلك!
سأخترقها ..
//
مكرمة أنا عند الله ..
كرمني لأكون إنسانًا ولست ملكًا
كرمني لأكون موجودة ولست مخبأة
داخل صندوق من معتقدات ولست ملكًا
ما افترضه الله كان ليحميني
لينظم الأرض بالشرع الذي نعبده به
وترك لي الخيار أنا أتبعه حبًا فيه
ما كان لكم أن تزيدوا على ما افترضه الله شيئًا
ما كان لكم أن تجعلوه كرهًا
إن كان الفرض خيَّر الله ابن آدم فيه
فكيف تجبروني على المندوب والزائد؟!
//
لماذا لا يكون للمعلم أحقية تعليم الطالب ..
كتابًا أثر فيه ربما أو خبراته في الحياة
بشرط أن يكون المعلم عالمًا؟
لماذا معلمونا ليسو علماء بل متشددين وغير أسوياء
وغير مؤهلين
إلا من استثناهم الله من ذلك ويدرسوننا كتبًا معظم كلامها خطأ!

لأن الرجال لا يؤمنون إلا بالحرب ..
تجدهم يكفرون بكل ما جاء عن النصر بالحب
بينما يؤكد لهم التاريخ ذلك وغالبًا ما كان يؤكد على يد نساء
ولكنهم ما زالوا ينشغلون بالحرب على أنه قرار عقلاني
بينما يضيع في سبيل قراراتهم النساء والأطفال
وأولئك الذين يأذنون بالحرب لا يموتون أبدًا
وعليهم وزر من مات في حين أنهم كانوا
يغلقون آذانهم عن القرارات الأخرى
كلمة تقولها قد تغير واقعًا .. تخيل ولكنك صامتًا
مزروعة فينا ثقافة الاستسلام
مريحة أحيانًا وقاتلة غالبًا
تقتل الفرص .. تقتل الذات
وذاتنا بما حملت هي الجيل القادم كيف يتربى
//
كرجل قد تسبقني بمراحل في العلم
ولكنك لن تنافسني أبدًا بالطريقة المثلى لتعليمه
كامرأة أنا صرح تعليمي شامل على مدار الساعة
وعلى مدار حياتي
إن اتحدنا قدمنا العلم كما يجب
//
إني أنام وأستيقظ وقد أحاكوا لي شعري!
ولا يجدر بشعري أن يكون محاكًا

ولا يجدر أن يكون رداء لهم
لا يجدر أن يكون رداء لغيري
//
عدت لأكتب في دفاتري كالسر ما عاد لدي شغف المشاركة
//
إنه فقط يؤلمني الهجر ..
إنهم يا صديقي آلموني ولا يجدر بي أن أتألم
فقط كان يفترض أن أكون لا بشرية وأبتسم ولا أتألم
فقط أبتسم ولا أتألم
//
يجب أن ينسف التعليم الحالي على هذه الأرض
وليس بطريقة القص التي تحدث الآن
بل بطريقة العودة لأصول العلوم
عودوا!
التطور في الأصل
إني لا أخاف رحيلهم .. إني لا أتألم به
إني تألمت حتى اعتدت
وأولئك الذين يتألمون
سيألمون حتى يعتادوا
لا تسألني كيف!!
لو كنت أعلم ما كان حبًا
نحن لا نصنع الحب .. إنه فقط يوجد

نحن لا نمهد له
إنه فقط يوجد
والمسألة التي تنص على التعفف عن الحب الذي ليس بأيدينا
شبه مستحيلة
وحبس الفتاة كي لا تتعرض للحب في طريقها
"قمع واستبداد"
في مرحلة ما في حياة الفتى والفتاة
كي يكونوا أصحاء لابد أن يحبوا
الحب مقدس لم يكن في يوم جريمة
أيها الكارهون المبغضون لقدسية الجمال
//
إذا منعت ما هو مباح فأنت بذلك تمهد للخطيئة
//
لابد للإنسان أن يسلك إحدى الطريقتين
إما صواب وإما الخطأ ..
لا شيء يسمى لن تتبع الصواب ولن تتبع الخطأ
فقط ستعيش تمثالًا - الحياة لا تسير هكذا
أن تحارب الفطرة السليمة
فأنت بذلك تمهد للانحراف
والانحرافات زادت
وأنت سيدي الذي تصنع التعفف
في الناس إكراهًا أول أسبابها تخيل

الفصل الثاني عشر
حمق

لن انسى هذا ما يختلف في الأمر
أما ما عدا ذلك فكلنا متشابهون
إنني أغادر كل شيء .. لا يغادروني
أحيانًا أغادر جلدي ولا يغادروني
منذ خلقت وأنا أمسح جلدي بتلك المواد الحارقة
التي تزيل الشوق وملامح الجسد
وأعبئ قلبي .. في قنينة على رف من ضلوع
وأعبئ روحي في قنينة متشابهة وأغرسها في جوفي
بعد أن سحق كلًا من تلك الروح وذاك القلب
ما كنت أريد أكثر من أن أسير على الأرض
أحن إليها وتحن عليّ
ما أردت أكثر من أن أظل هكذا أحن إليها وتحنو عليّ
لا أريد أن أستيقظ كي لا أتجرد من النوم
ويتيقظ عقلي أني بدونهم
ذهبوا
//
لن أقول لك تعالَ كي لا تتشارك والشوق وحزني شرف صلبي
حين تغيب لن أقول لك لا ترحل فلا لا تنفي فعل أي فعل
خارج الجملة المكتوبة
//

ما كنت لأغرس الأشواك في عيني
ولا عندي مزيد من صحة أفجر فيها ألغام الطريق إليك ..
وما كنت لأدق بابك حتى تسمع
ما لبيتك من بابٍ ولكن الشوق جاء بي
//
كنت ألوم على أهل الحب الأحمق
حتى وضع الله ما شمت به بين عيني
وما مت حتى رأيتني أحبك حبًا أحمق!
وبت تراني حمقاء كما أراهم
لا أعلم كيف أتحدث عنك
ولا أكون أضحوكة كل شيء حتى الحب
//
مدى حمق أن أبعث إليك رسالة
كالطريق من هنا إلى الفردوس مرورًا بكل أبواب جهنم
ثم الطواف بالجبل بين الجنة والنار وتقطيع أقدامي
على الصراط ذهابًا وإيابًا ولم تقم القيامة بعد
ولكني أرسلها على كل حال وأدخل الجنة
سأسبح الله .. ثم سأقول له سبحان الذي فك رهاني منك
لا بأس .. وجد بعض الألم ليصنعنا ويقوينا
ووجد بعض بعض الحب ليهدمنا ويبنينا
أحببتهم كالضوء وتركوني و الظلام يملأ عيني
//

كنت سأحبك حتى لو لم يكن حبي لا يساوي شيئًا
عند الذي نذر الحب لأخرى
نمسح دمعتنا عليهم
وتمحينا الأيام بعدهم
وتظل المرأة لا تصورنا
وتظل صورنا مشبعة بهم
تتوقف بعدهم عن بنائنا فهذا شبه مستحيل
نحن فقط نبني كل ما عدانا كواجب إعمار الأرض
ثم الرحيل عنها بصمت وسلام
//
امنحني دقائق أريد أن أتجمل
امنحني دقائق سأتلو مائة آية
وأستغفر مائة استغفار
حتى يمتلئ وجهي بالنور
وتحمر وجنتي وتطول رموشي
وتتسع عيني وتكتحل ..
انتظر دقائق إني أتجمل بنور الله!
//
لم يكن لدي حصانة عشقية ذاك اليوم
كانت الظروف تتداخل على العمل ثم العمل ثم العمل
غفلت عن قلبي فأحببتك
//

عقلي يقول لي اتقي الشر
وكلما رأيتك لا أستطيع أن أتقي شيئًا!
//
لا أعلم إن كنت ما سأقوله من الجيد أم من السئ أن يقال
ولست ممن يهتمون بما يجب ولا يجب أن يقال
وإني فقط أقول لأقول وأكتب لأكتب
يوم أن رأيتك شعرت أني أنجبتك ذات مرة لا أذكره
وولدنا فأحببتك ذات زمن لا أذكره
وإنك كنت أخي في زمن لا أذكره
إنها فقط يا صديقي الأرواح الصادقة
الأرواح المعذبة ربما
عندما تلتقي
إنا نشعر بامتزاجها بأرواحنا بطرق لا تفسر
لم أفعل شيئًا يفعل إني فقط رددت الدين
لذلك الزمان الذي لا يذكر في الذاكرة
وتذكره الأرواح جيدًا
آه يا صديقي فقط لو أستطيع أن أمس تلك الروح وأمسح عليها
لعل الله وضع في يدي بركات وكرامات كعيسى ..
ولكني لست عيسى!
إننا نشعر بتلك الأرواح التي نتشابه معها وتتشابه معنا
إني فقط شعرت أني اقتطعت من رحمي يومًا ما
وهو إليك حن ..

أتعلم الآلة التي يقطعون فيها اللحوم
ذات السكاكين الأربعة الحادة
تلك التي تشعر بالأسى على قطعة اللحم حين تراها داخلها
لدرجة أني أصبحت نباتية
شعرت بأن قلبي داخلها يتقطع يوم رأيتك
وكأني رأيتني في مرآة ..
وما كنت أرى في المرآة قبلك سوى الضباب
لا بأس يا صديقي لست مدينًا لي بما أشعر
لست مدينًا لي بشيء لأطلب شيئًا
فقط كن صديقي وليست الصداقة دينًا
بعض الناس صداقتهم كنوز لا تقدر ولا نمنحها يومًا قدرها
فاعذرني إن لم أمنحك قدرك
واقبلني بقدري وإن قل
حروفك تحكي ويعجبني صوتها تنطق قبل أن أقرأها
تجعلني أبتسم ..
تحكي لي بداية الحرف واللغة والصوت والصمت
تجعلني أنتظرها
شكرًا لأنك كنت مرافقي في طريقي
وأني كنت أحدثك وأحكي لك
شكرًا لأنك أنصت لي
حتى انتهيت
شكرًا لكونك ملهمي

لم تكن معي صديقي
ولكني كنت حزينة
ووددت لو تكون
ووددت لو يكون
لا أنت كنت
ولا هو
سأطلب من الله في الجنة أنت
أما الدنيا فلن تهديني بك إلا الألم
//
عدت إلى أرض ولم أنتبه أني عدت
كان الطريق طويلًا
وكان الليل قاتمًا كالليل
وكان منظر النجوم الصحراء جميلًا
وكان نصف القمر ينظر لنصف قلبي
وتمنيت أمنية
//
أهو ضباب .. سراب .. أم منزلي؟
أريد أن أحط عليه
أن أضع رأسي على قطعة فرش في الأرض
وأنام بسلام .. مللت الفرش العالية
إنها كالأضرحة
تجلب الثقن وتسلب السلام

لا شيء في محبرتي يكتب
لا شيء في محبرتي ينقل
كل ما فيها قد كتب وانتهى
والحرف بعد أن يكتب يموت
ويدفن مكانه
ولا يجوز لنا نقل الأموات ونبش قبورهم ..
يبدأ الناس منك حيث انتهيت لا أحد يجيد قراءتك من البداية ..
كنت ذات زمن قوية
ولكني تعبت
إن القوة من الضعف تظهر في المواقف العظيمة
أو تلك المصيرية
وليس الحياة اليومية
إني في حياتي اليومية
أعقد هدنة مع كل شيء وأؤثر الضعف
وأحب المستضعفين
وأولئك المساكين
وأولئك اللذين أسميهم الرحمة ممزقة الثياب
وأظل مستعدة لمعركة ستقوم يومًا ما لا محالة
بح صوتي وأنا أقول لأننا كالبنيان
ولأن بعضنا يشد بعضًا
ولأننا كالجسد إذا تداعى
منه جزء سهر عليه باقي أجزائه

هذه ليست أحلامًا وردية
بل هذا ديننا وهكذا جمع الناس
منذ قيامه حتى اليوم
إن كنت ترفض أن تقيم هذه المبادئ
فأنت ترفض أن تقيم الدين
إن رفضت أن تقيم الدين
فهذا حقك في الخيار
الذي خيرك إياه الله
ولا ينكر أحد الحضارة التي
قامت بهذا الدين
إذا كنت لا تود أن تتبعه
فستتبع هذه المثل لتقيم الحضارة
أنا مسلم وأنت أخي
إن لم يكن في الدين
ففي الإنسانية

الفصل الثالث عشر
أشتاقك كالليل

أشتاقك كالليل ..
ما أن تغفو فيه عيني حتى تشتاقه
وما أكاد أغفو في عينيك حتى أشتاقك
ليتني غرفت في تلك العينين فراقها
وليتها غرقت في عيني وأغمضت عليها هناك "أحميك فيها"
أتعلم! لو كنت غرقت في عيني لحملتك على رمشها
ولو كنت غرقت في عينك دهرًا بعد دهر
لكنت أغمضتها فقط لتكسرني كزجاجة
ولكني أستمتع بمن يكسرني حين يلملموني
يجمعني .. وأحيانًا ينثرني كطقوس عبادة
//
أود أن أكون كما أنا
مللت من أن يملي علي "من أكون"!
أكون أنا فهل يعلم أحد من أنا؟
وهل منح أحدهم نفسه وقتًا ليعلم من أنا؟
إني فقط أنا وأحب أن أكون كذلك
من حقك أن تكون نفسك
ومن حقي أن أكون نفسي
//

كان هناك يربت
على ظهري حتى أنام
وغابت اليد التي تربت
ويومًا استيقظت والحمل زاد
وظهري غاب وتركني
ظلمته .. حسبته رحل
ولكني وجدته مسحوقًا
تحت أقدامي
وما كان له أن يحتمل
وما كان لي أن أحتمل
ولكني احتملت
رأيتك .. فرحت
كيتيمة لا تجد الحجارة لتأكلها
وقد كنت أميرة بعلاش ما يشبه السجن
حسبتك ظهري ووددت فقط
قليلًا لو أسنده وأغمض عيني
ولكنها الأمنية التي لم تتحقق لي
أردتك وددت لو أستعيده وما استعدته
عدت لبؤسي .. سعيدة .. راضية
ولكني يتيمة وسأظل
أأحببتك لأكتب أم أني أكتب لأحبك ..؟!

ينتهي الحب
وينتهي الحبر
ولا ننتهي من تراتيل الأقلام
ليتك ما كنت أنت!
وليتك تكون ..
لا بأس ..
لا تحزن ..
لم أحزن
إني فقط
أتقطع بي
وبك أتقطع
لا بأس ..
لا تحزن ..
لم أحزن ..
لم أذكر..
وليتني يومًا
لم أتذكر ..
لا بأس
لا تحزن
لن أحزن
إني فقط مبتسمة للقلم
وابتسامي له بعض الدمع

وبعض الشجن .. وبعض الحياة
وبعض الموت ..
لا بأس..
لا تحزن
وحدي سأحزن
إني فقط أكتب وغدًا أنسى ما أكتب
//
إني فقط أكتب لأكتب
أو إني أكتب لأقول ما لم أكتب
أود فقط لو أملك يومًا القدرة كي أستعيض عن الكتابة بالكلام
وقتها لا يمنعني شيء كي أقول ..
ولكني أقول يجب أن يكون هناك من يسمع ..
ليس لدي من العلم شيء سوى أني
ما سمحت لشيء أن يمس فطرتي
وهذا بالضبط ما نسيه الناس ونسيه العلماء
لا تسكت عندما يجدر بك أن تتكلم
ولا ترضَ بالجهل عندما يكون الأجدى لك أن تتعلم
//
الجروح يا سيدي لا تندمل ..
إنها فقط تستيقظ وتنام
كلما دفناها تنبت من جديد وكلما بكينا كي ننساها سقيناها
وكلما سقيناها كبرت ..

وكلما كبرت نزفنا وكلما نزفنا انكسرنا
وكلما انكسرنا كتبنا
//
قضيت عمرًا فوق عمري على الورق
أحاول أن أصف (كم يؤلم)
ولم يشعروا حتى الآن كم هو يؤلم
مؤلم أن يعاملوك وكأنك مجرد من الإنسانية
وكأنك لعبة من خيوط وخشب
من أحببناهم لم يقدر لهم إلا الخلود فينا!
ربما سيدي ولكن لا يعيش الخلود حبًا
ولا يعيش الخلود حيًا
إنهم موتى ولا أملك يد عيسى أمسح بها
على الأضرحة .. فتعيدها للحياة
//
(يا حبيبي يا عيسى أين أنت؟!!)
إن أتيت وأنا ما زلت حية سأضمك إليّ
وأسألك يا مولاي ويا نبي الله
بالله عليك هل رأيت محمداً؟
كيف حال محمد رسول الله؟؟
الله هو ملجئي ثم الكتابة هي ملاذي ..
سأتوه منك
وتبنى التيه

لا يهمني أن أهتم
إني فقط
أود لو يكون لي
قلب خارج أضلعي
أدفن فيه الذي في أضلعي
فقد تجمد هناك
والجليد جمد أطرافي
وأنا أحتاج أطرافي
ولا أحتاج قلبي ..
لذا أود لو أدفن قلبي فيك
وأموت إذا ما انفصلت عنك
أود لو ننبض سويًا
أود لو ننقبض سويًا
تنبض أنت بروحي
وأنبض أنا بك
اشتقت إليك
أود لو أتجرعك
لو أصاب بك
وأشفى بك

لا يحمل الحزن اسمك
لا يجمع الشتات اسمك
لا يجمع الفرقة اسمك
لا يجمع اسمك ... اسمك!
*
*
ليتك أنا فقط
معي أنا فقط
أود لو أقترب وأنساني
وأذكرني .. ليتك تتبناني!
أيتبنون الأيتام في بلادك يا سيدي؟
في بلادي يظل الأيتام أيتامًا
ولا ينتهون من اليتم أبدًا
*
*
اشتقت ..
إني فقط اشتقت
أين أذهب بي
أين أذهب بك
أين أنا منك
أين أنت مني ..
*
*

لا بأس .. سأنسحب منك
وكأني انسحب مني
سأنسحب مني
وكأني أنسحب منك
ولن نلتقي وإن التقينا
//
إن الجليد قاسي
وإن القلوب التي تتجمد
لا تعود تذكر بعد الشوق شيئًا
لا يبقى شيء من كل ما بقينا لأجله
لا يبقى شيء من كل ما يقتلنا أجله
//
يعودون إلى أوطانهم بعد غربة
وأبقى في بلدي في غربة
من يمنحنا أوطانًا؟
إن وطني داخل ذاتي أبنيه
صرحًا وغدًا أبنيه آمنًا .. يكون حولي
ولكن دعونا لا نكابر كلنا يحتاج لقطعة أرض
أتلومينني لأنك نسيت كيف هو الشعور بالغربة؟
إنه بالضبط هذا الشعور الذي تشعرين به الآن
ولكنك نسيت اسمه
//

شعور غريب يلازمني منذ الوعكة الأخيرة
أشعر باليتم وأن قلبي ممزق
وكأنه تمزق من شيء
وكأنه تمزق لأجل شيء ولم يحدث شيء
أو ربما حدث ولكني ما زلت أغيب الحقائق
كي لا تطعني .. وكل ما يحدث يدل
على أنها طعنتني وانتهت
//
في الصمت شفاء وفي الحديث ألم
وفي الألم شقاء .. والشقاء حاجة
ولا حاجة لنا في أن نحتاج
لنتحايل فقط على الشقاء
كي لا يشقينا بال
حاجة لمن لا يشقينا
سأتحايل على الشقاء
كل ما كان يجب أن يكتب لم أكتبه
وكل ما لا يجب كتابته كتبته
هكذا استيقظت ذات يوم
وقلت في نفسي لن أكون
سأفعل ذلك الذي لا أود فعله
لأنه لابد أن يفعله أحد
//

الإيمان والإيجابية لا ينفيان قليلًا من الحزن
وشتان بين أن نحزن وأن نيأس
الأولى شعور إنساني قد يجعلنا نعلو
والثانية هي تعطيل لكل القدرات والطاقات
نحن تاريخنا في عصر انحطاط أمة
ثم انبعاثها من رمادها بنهضة يجب أن نستعد لها جيدًا
//
العطاء وحده نعيم عندما تعطي لتعطي
الأرواح الطيبة تقدر ذلك
والأرواح الخبيثة أو شبهها قد تستغل ذلك أحيانًا
بعض من استغلال العطاء مؤلم لأنك تهب روحك
تسري إلى السماء علوًا وارتفاعًا ويرون ترفعك انحطاطًا
تحت أقدام حاجاتهم ورغباتهم
ولكن ضريبة الكثير من النعيم بعض الألم
ولكي نكون عظماء يجب أن نتغاضى عن بعض الألم
ونعطي بحب كل حال
//
أعلن صفاء نيتي على الملأ
أعلن تصالحي مع نفسي مع الحياة ومع الجميع
وأثاب الله أصحاب الخلق وغفر لنقيضهم

أحببتك هكذا لا أدري ..
لم أشاور قلبي الأمر
ولم يكن وارداً ولم يكن محتملاً
ولم يكن من ضمن نطاقي
ولكن نطاقي خرج خارج نطاقي
//
إن صديقاتي ما زالوا في صناديق
لذلك هم ليسوا بالقرب
ما زالوا يعبئونهم في المخازن
ويحكمون إغلاق الصناديق عليهم
كي لا تفسد البضاعة
صديقاتي ماسات خام ..
وأنا كنت مثلهم ولكني هربت وحاربت
قبل أن يصبح عقلي صندوقًا كالذي عشت فيه ..
كان يجب أن أصقل جيداً وأن أعمر الأرض
ولا تعمر الأرض في القبور
بعض صديقاتي
بعد معارك تبنوا فكرة الصندوق
ورأوها الصواب واقتنعوا بأنهم بضاعة مقدسة
والبعض مستسلمين بأن لا حول لهم ولا قوة ..
والبعض مثلي (ثائر) على ثقافة الصناديق
في كل وطن يوجد ثقافات يجب أن تطهر

وغبار يجب أن يزول
وحق يجب أن يعطى ويتضح
هنا تكمن وظيفتنا نحن معشر النساء
على قطعة الأرض هذه مستعبدون عمرًا فوق عمرنا
تعلمنا النطق واللجام يلثمنا ويدمينا فيسكتنا
تعلمنا السير والأغلال في أقدامنا والسلاسل في أيدينا
تجرنا دابة نمشي خلفها وإن خالفناها تقطعت أيدينا وأرجلنا
ولا تسمع الدواب استغاثات البشر
إن فكرنا انتزعوا شعر رأسنا وأخذوا أدمغتنا من تحت جلودنا
وأذابوها ثم جمدوها وغسلوها وأعادوها
نضحك بقدر لا أعلم من قدره
ونبكي في الخفاء بقدر لا نعلم من قدره
ونمشي بين الخطوة والخطوة بمسافة متساوية
نتكلم بقدر معين من الكلمات
لا نعلم من قدرها .. لا نمرض!
إن مرضنا عوقبنا
فالزهر إما أن نعيش زهرًا متفتحًا
أو يقطف فينفى حتى الموت ..
لا نحزن بل يجب أن نمتهن الغناء والرقص والعزف كجواري
لا نعمل فما خلق النساء للعمل
إنما خلق النساء للرجال
وبالرغم من كل ما يحكى وما لا يحكى

وما لا تكفي المساحة لكتابته ولا يكفي الصبر للتقطع به
يقولون إننا مستعبدات بالطبع فهي لا تعرف سوى الاستعباد!
أنا أحيانًا أمشي على مبادئ الاستعباد دون أن أعي
وأخالفها ما إن أعي حقي كإنسان
نعم .. كل أنثى على هذه الأرض إلا من رحمهم الله مستعبدة
وتربت على الاستعباد
وعلى تربية المستعبدين من الأبناء مستقبلًا
أما أصحاب الوعي منهن هن من أقسمن على
ألا يكون الجيل القادم مستعبدًا
ولكن من يربيها هي على ألا تكون كذلك؟!
//
أنزوي .. أفضل الصمت
أحمل الحزن والإرادة
وكل المترادفات وكل النقائض وأبقى وكتابي حقيقة ..
لا أعي شيئًا مما كتب على تلك الورقات
إني فقط أغوص في الورق لأصمت أكثر
لأتوه أكثر كي لا أسمعني أكثر
كي أظل أستمع لصوت آخر
صوت يقول أشياء مختلفة
يحب أشياء مختلفة
ينوي أن يفعل أشياء مختلفة
أرفع صوتي كلما علا صوت ذاكرتي على صوت الكتاب

من الأدب أن نهذب الذاكرة
من المفضل ألا تقتلنا الذاكرة
من المرجح أننا سنموت بها
إنني أحبهم وأتمنى ألا يرحلوا
ألا يتركوني ألا يعود جذع عائلتي منكسرًا
لا شجر للأيتام
لا عائلة للمبتورين
لا أريدهم أن يرحلوا أبدًا
ولكني أغوص بعيدًا عنهم
بعيدًا عني بعيدًا عن الجذع
بعيدًا على الشجرة
بعيدًا عن الذكريات البعيدة التي تحمينا قبل أن نمحيها
إن الحزن لا يحزننا كالسعادة وإن السعادة هي أول الحزن
ليست كل الآلام نقمة بعض الآلام هي أول النعم
بعض الصحة نتدنس بها وبعض المرض نتطهر به
يأتي المطر يغسلنا .. كنت أحب أن ألعب تحت المطر
كنت تحب أن ألعب تحت المطر
كنت تتمنى لو تلعب تحت المطر
نعد القطرات بالوعود وبالبدايات الجديدة
وبالمستحيلات الممكنة
وبالعناء الممتع
وبالشقاء الممتنع

وبالشفاء العاجل
ويرحل المطر
والتقلى ملئوا ساحات الأرض كالشجر
الذي عاد حيًا بعد المطر
فبعد انتهاء الأشياء تحيى أشياء
وتموت أشياء
وتبقى القضايا معلقة بعنق الأحياء تطالب بدم الأموات
لا الأحياء حرروا أعناقهم
ولا الموتى يملكون لأنفسهم حياة ولا نشوراً
//
إنه اليوم الوطني لأحزاني السعيدة
كل سنة وأنا بخير
وطني يا وطني ماذا أبقيت للفرحة؟!
ممتنة لكل ما أتى بك
ممتنة لكل الذي لم يأتِ بك
ممتنة للندى
ممتنة للعواصف
ممتنة للزهر
ممتنة للصواعق
ممتنة للدهر الذي أتى بك
ممتنة للدهر الذي أخذك
ممتنة لقلبي الذي ظلمني

ممتنة لقلبي حين ظلمك
ممتنة لكل ما يمتن له بشر
ولك ذلك الذي يتنكرون له
إني أتألم وما كان الألم ذنبي
وما كان الظلم ذنبي
إني أحمل حقيبة أضع فيها
الألم
والظلم
والحمل
وأحملها ورأسي يجذبه الحزن إلى مركز الأرض
وكأني لم أعد أرى إلا الانكسار
*
*
كنت أغني
كان لي
صوت جميل
أصعد به
إلى السماء
إن لم تتسع
لي الأرض
وسكت صوتي
وأمرضني الغناء

فابتلعت أحلام السماء والغيم
وابتلعت صوتي
وآثرت الصمت
إلى أجل قريب
*
*
لم أعد حزينة
إني فقط
فقدت رغبتي
في الحزن
أرحل
كالراحلين
سأنسى
وستنسى
أني عبرت
ذات أرض
//
تغني فيروز .. وتسكت فيروز
عندما تذهب سيغدو صوت فيروز الصمت
ووطني لن يعود وطني
والأرض تحت قدمي
سأحملها على رأسي

ولن تحطم الأرض رأسي
لن يحطمه .. إلا الحزن
والمكان سيغدو مهجورًا
وأنا أخاف من كل كهوف الأرض التي لا تحملك
من سيبقى لي؟
ما معنى أن
إن وجد كل الناس ما عداك؟
كل الأرض المزروعة
ستغدو بعدك أرضًا بور
وسيموت الناس جوعًا وبردًا
يتساقطون بألف سبب
وسأموت كي ألقاك ولن ألقاك
//
أسترحل من قطعة الأرض هذي سيدي؟
إن رحلت لن تستقيم ستميد بمن عليها ..
//
كي لا أحزن إن نسوا
أنسى أن أتذكر
لم أغفل بإرادتي
لم أغفل دونها
ولكني غفلت دونك
//

لم أكن أدرك بأنه لدي انتماء وطنيًا قويًا حتى علمت أنه رجل
إما أن أرحل من بلدي وإما أن أقتل فيها وآثرت البقاء
ربما هو ليس انتماء وطنيًا ..
ربما رغبة إيجابية في الانتقام من اليأس
الذي علمونا إياه بأن نتحدى اليأس!
لن نظل طوال أعمارنا نهرب بغير هدى ونسعى بغير وطن
//
رأيتني بالأمس في عينيك ولم أعجبني
كنت في عيني أجمل
يا أبي .. أبت الدنيا إلا أن تدينني
وما قلته لي مرة يتردد ..
يبقى لنا الجنة يا أبي
كل سكان الأرض وأنت ..
أراكم في عيني تطالون السماء
وأراكم بقلبي لم تتجاوزوا الثالثة
وأنا التي بلغت بالأمس ألف سنة
وأنا لم أنهِ سنواتي الأولى
//
سيدي والله ما كتبت إلا وصدري يكاد يتفجر بك وبهم
سيدي والله ما تكلمت إلا والمنظر قد اكتسح عيني وأكلها كالنار
يذهب نور عيني ولا أرى النار تشتعل فيهم وأصمت

يا سيدي ما كانت قاماتكم قصيرة ..
إنها تصل إلى السماء دون عناء
ونصلها بجهاد المجاهدين ونتخلى في سبيلها عن كل شيء
ونصع قبل كل شيء تابوتًا لأرواحنا وأجسادنا
يقينًا إننا ما إن نطال أو نكاد نطال طرف السماء
سيكون ذلك أجلنا ..
قاماتكم يا سيدي ليست قصيرة
وليست المشكلة في طولها أو قصرها
المشكلة أنكم لا ترون سواها ونرى كل شيء
المشكلة أنكم لا تتحملون سواها ونتحمل كل شيء
ولا يحملوننا سواها ونتحمل كل شيء
ولا يحملوننا إلا في الجنازات
حتى يقولون إننا قريبًا
سيضعون لنا نصبًا ويعلقوننا عليه في الصحراء
فحتى المقابر لم تعد تتسع للنساء
ومغاسل الموتى تكاد تنقرض فيها المغسلات
ولا أحد يعلم النساء كيف يغسلون النساء
هكذا يموت النساء في أرض الرجال
//
لم يأخذ الإسلام منا حقًا
إنها العادات فلا تتهموا الدين بما اقترفته أيديكم وأيدينا
//

إن كنت مهتمًا جدًا بقضية المرأة
فهناك آلاف من القضايا العالقة للنساء تنظر
منصف تبنى قضية وأنصفها
وأول القضايا تلك التي أنجبتك
وأخريات بالقرب منك
ولكن لا تدَّعِ أنك تناصر قضايا النساء
بينما لم تقف في واحدة
الكلام والادعاءات سهلة
ولكن لا تدَّع أنك تطفئ النار بالكلام
ولا تدَّع أنك أعلم بنا منا
الذي شاهد الاحتراق لا يشعر كالذي احترق بالنار
أنت يا صديقي تعادي اليقين عمرًا
فكل ما فيك شك في شك
وإن سهم الشك في جسدي عندما تغرسه يخرج حمى وعيد
بتوعك ثم بفرج قريب دائمًا
أنت في الجزء ما بين اليقين والشك
تطمح باليقين وتستمتع بالشك
لا أنت تصل لهذا ولا مرسى للآخر
أما مللت السفر؟

الفصل الرابع عشر
كل أرض تغادرها تغادرني

كل أرض سكنتها أرضي
كل أرض تغادرها تغادرني
ممتنة لكل ما أتى بك
ممتنة لكل الذي لم يأتِ بك
ممتنة للندى
ممتنة للعواصف
ممتنة للزهر
ممتنة للصواعق
ممتنة للدهر الذي أتى بك
ممتنة للدهر الذي أخذك
ممتنة لقلبك الذي ظلمني
ممتنة لقلبي حين ظلمك
ممتنة لكل ما يمتن له البشر
ولكل ذلك الذي يتنكرون له
إني أتألم وما كان الألم ذنبي
وما كان الظلم ذنبي

ملاحظات حرة

(1)

إني أحمل حقيبة أضع فيها
الألم
والظلم
والحمل
وأحملها ورأسي يجذبه الحزن إلى مركز الأرض
وكأني لم أعد أرى إلا الانكسار
كنت أغني
كان لي صوت جميل
أصعد به إلى السماء
إن لم تتسع لي الأرض
وسكت صوتي
وأمرضني الغناء
فابتلعت أحلام السماء والغيم
وابتلعت صوتي
وآثرت الصمت
إلى أجل قريب

(2)

لم أعد حزينة

إني فقط

فقدت رغبتي في الحزن

ارحل كالراحلين

وسأنسى وستنسى أني عبرت

ذات الأرض

*

*

تغني فيروز

وتسكت فيروز

عندما تذهب سيغدو

صوت فيروز الصمت

ووطني لن يعود وطني

والأرض تحت قدمي

سأحملها على رأسي

ولن تحطم الأرض رأسي

لن يحطمه .. إلا الحزن عليك

(3)

والمكان سيغدو مهجورًا
وأنا أخاف كل كهوف الأرض التي لا تحملك
من سيبقى لي؟
ما معنى ..
كل الناس إن وجدو ما عداك
كل الأرض المزروعة
ستغدو بعدك أرضًا بور
وسيموت الناس جوعًا
وسأموت كي ألقاك ولن ألقاك
*
*
أترحل من قطعة الأرض هذه سيدي؟
إن رحلت لن تستقيم ستميد بمن عليها
إني فقط أظل أرتقب .. أحصي الطيبين
وأظل أنتظر مواعيد رحيلهم ومواعيد القدوم
ولكن أعلم متى ستحيا الأرض
ومتى هي تموت

(4)

أشتاق شيئًا لا أدري ما هو
وأحن إلى شيء لا أذكر ماذا يكون
وإن الحزن يملأني على واقع لم يأتِ
وإن روحي كلها تهيم في الذي أتى
اشتقتك كالليل .. أشتاقه كل ليلة كي أكتب
اشتقتك كالفجر .. أدرك .. سيأتي يوم ولن أعيشه
أشتاقك كما يشتاقني المرض .. ما إن يذهب حتى يلتهمني كالنار
أفتقدك كما سأفتقد بعضي بعد الممات
أنتظرك كما أنتظر النور كي يحملني كي يظل معي
أحتضر كل ليلة أكثر .. يقترب مني كلما دنا أجلي
إنه قريب .. قريب جدًا
ينتظرني على الضفة الأخرى
فقط عليَّ أن أتعدى خط الحياة كي ألقاه
إنه هناك .. إنه قريب .. قريب جدًا
إنه الموعد .. إنه الوعد .. إنه الميعاد
(سأطلب من الله في السماء أنت)
كل الكلمات مشتقة من اسمك
لأنك كل المعاني وكل معنى يقودني إليك
لأنك في كل النوايا وكل نواياي معطوبة بك
لن أنتظر فقط سأرتقب .. تتغير الساعة ولا تأتي الساعة

لن أنتظر .. إني فقط حتى مجيئك أحتضر
ماذا جنى أولئك اللذين انتظروا من الانتظار
ماذا جنيت أنا
احكِ للعالم في غيابي كيف تعيش بقلبين
وسأحكي لهم كيف أعيش على موقد
يضخ لي الدم كالحساء بعد ذهاب قلبي
أريد أن أتنفس بك ..
رئتي منذ غاب عطرك "معطوبة" "وجسدي"
اشتقت .. أأشرب ماء فينطفئ الشوق
أحببتك لأني أردت أن يحمل قلبي شخصًا واحدًا
لا أتألم إلا به وأستعيض به عن الدنيا
رأيتك في المنام تخبرني بأمر
واستيقظت ولا أدري أحلم كان أم حقيقة
وبما أني كنت عابرة سبيل
كان من المستحيل أن تكون حقيقة
ونمت وجئتني فأيقظتني

(5)

فاستسلمت وبقيت مستيقظة
لا أنت تأتي ولا الأحلام
فقط الشوق والنجم والقمر والغربة
لن أقول لك تعال
لكي لا تتشارك والشوق وحزني
شرف صلبي حين تغيب
لن أقول لا ترحل ..
ف "لا" لا تنفي فعل أي فعل خارج الجملة
ما كنت لأغرس الأشواك في عيني
ولا عندي مزيداً من صحة
أفجر فيها ألغام الطريق إليك
وما كنت لأدق بابك حتى تسمع
وما لبيتك من بابٍ ولكن الشوق جاء بي
كل شحوبي يداري وبكل الألوان ما عدا مرآة روحي
تلك النافذة تحكي ولا سبيل لإقفالها .. لا قفل لها

(6)

أغمض عيني على الحقيقة
حقيقة أنك هنا بين أضلعي
لا سوء يصيبك هناك
ولا شوق سيحرقني بعدك
إن الأشواق تصرف لك فقط
كل المشروبات الساخنة اليوم لا تدفئ قلبي
كل الكلمات اليوم لا تعبر عني
وكأني أحتمي من الكلمات بالصمت
وأحتمي من الصمت بالكتابة
وأحتمي منك بالناس وبالصمت وبالكلام وبالكتابة
يرحل الناس والكلام إذا ما قيل انتهى وتبقى أنت والكتابة!
أهرب منك إليها وأهرب منها إليك
وأبقى والليل ورداءي وصديقي القلم وقلبي

(7)

الذي عشق قصص العشاق التي لا يحاربها
بل يفضل لو يعقد هدنة معها أو يهزم فيها
يظل ذاك القلب يحكي للقلم والقلم مل الكتابة
أضحك عندما يزورني الموت فيفزعوا
وأضحك عندما يأتي الصباح فيستيقظوا متحمسين للنهار
ما يضحكني في الأولى بالإضافة إلى جنوني
أن من يفزع من موتي ويرتاح إذ لم أمتْ لا يثق بالله
فأضحك لأني كنت أثق
وما يضحكني في الثانية أن من يستقبل النهار
حذرٌ يأمن القدر ولا أمان للقدر
يومها كنت أودع الأرض
كان الرجل الغريب يتلو عليَّ آيات ليرتد بصري
كانت النار تريد أن تطفئ نور عيني
كنت أشعر بالموت يدنو مني معك في اليوم الذي يسبقه
كنت تكلمنا عن انقسام الأوطان
ووطني أنت .. طلبت من الله ألا أموت
كي أراك لأخبرك أمرًا
أقابلك بعده في الجنة
ما أماتني الله
وذهبت إليك ولم أجدك

أحببتك هكذا لا أدري
لم أشاور قلبي في الأمر
ولم يكن واردًا ولم يكن محتملًا
ولم يكن من ضمن نطاقي
أسترحل من قطعة الأرض هذه سيدي؟
إن رحلت لن تستقيم ستميد بمن عليها
لم يكن مقدرًا لتلك الحروف التي تحترق تارة
وتمطر فتخمد الحرائق أحيانًا إن تصلك
فلتتدرب على الشوق إذًا لعله يأتي يوم ولا نشتاق
أحيانًا أضعف وأود فقط لو أظل في ضعف لفترة ..
جميع البشر يخافون من الضعف
فلماذا لا أفعل شيئًا مختلفًا وأتقبل ما أنا عليه
أحببتك كقلبي .. وفقدته معك
ليست عبارة حقيقية كالحقيقة كالألم
أتيت هنا لأجل شيء
لا أذكر ما هو
كنت أريد أن أتذكر شيئًا
أو أفعل شيئًا .. أو أقول شيئًا
وكأني أحب شيئًا

(8)

وكأن كلمة عالقة في قلبي ربما
في لساني ربما
متعلقة بروحي ربما
وكأنني فقدت شيئًا
أو طرأ عليَّ شيء
أو أنني أحببتك
أو أني لم أحبك
أو أني كنت هنا
أو أني لم أعد
وكأني كنت أحدثك
وكأني كنت أحلم بك
وكأني استيقظت
وأنا ألمح صوتك
وأنا ألمح صورتك
وكأني لم أستيقظ
وكأنك كنت تربت على ألمي
وكأني كنت أشكو لك منك
من فقدك .. من فقدهم
وكأنك مررت من على بكائي

(9)

أمررت سيدي من هنا؟
وكأني حية!
وكأني لم أحي
أو أني من!
وكأني في طور ذلك
وكأني أتنفس
أو أني أحتاجك لذلك
وكأني أشتاق لك
وكأنك تشتاق لي
وكأني أبقي اشتياقي
وكأني أرثي اشتياقي
وكأني محمومة بك

(10)

لا بأس ..

لا تحزن

لم أحزن

إني فقط

أتقطع بي

وبك أتقطع

لا بأس ..

لا تحزن

لن أذاكر

وليتني يومًا

لم أتذكر

لا بأس ..

لا تحزن

لن أحزن

إني فقط مبتسمة للقلم

وابتسامي له بعض الدمع

وبعض الشجن .. وبعض الحياة

وبعض الموت

(11)

لا بأس ..

لا تحزن ..

وحدي سأحزن ..

تغسلني من الخطايا وتكسوني بها "عينيك"

تعيدني إلى ميلادي كي أعيش كل الفصول فيها

أحببتك كي أكتب

أم أني أكتب كي أحب

ما الذي أتى بي

ما الذي أتى بك

ما الذي أتى بي

ما الذي لم يأتِ بك

من الذي صنع الصدفة التي لم أختلقها

من خذل تلك الصدفة التي أختلقها

من أغلق الباب الذي لم أفتحه؟

من كان يجدر أن يغلق في وجهي

(12)

كان يفترض أن نقذفه سويًا في وجه الزمن
ويبقى وجهي يبكي خلف نقيض الحكايا التي لم تحكَ
فإن للحكايا أرواح!
تبكينا كما نبكيها

*
*

أأخبرك سرًا ..
عندما رأيتك أول مرة تذكرت
كنت في ذكرى ما
أحملها داخلي

*
*

عندما رأيتك ما توقعت أنك سترمم لي ظهري
وتكسر لي قلبي "لا بأس"
سأجد من يرمم لي قلبي ..
ولكن دعني أشعر بأن لي ظهري
قبل أن أدرك اختفاء قلبي
وأنه سرق ذات غفلة

*
*

لم أغفل بإرادتي
لم أغفل دونها
إنما غفلت دونك
*
*
لست ساذجة ولست غبية
ربما أنا بينهما أو دونهما
ربما طفلة أنا .. ربما أنضج من عجوز
إني فقط مختلفة
وشأني سيغدو مختلفًا
رأيتني بالأمس في عيني أصدق
كنت في عيني أجمل
أحسبني حبك .. وكنت كذلك
"أحسبك ولكن ظني ربما خذلني"
ربما لم يصدق وربما صدق
أحسبني أحبك وأحسب القلب أحبك
إنه فقط الظن ولا شيء في حبك مؤكد
أنت يا صديقي تعادي اليقين عمرًا
وكل ما فيك شك في شك
وسهام الشك في جسدي تخرج كالحمة
بتوعك وتعب ثم بفرج قريب
متعب أنت وكل شكوكك متعبة

(13)

دائمًا أنت في جزء بين اليقين والشك
تطمح باليقين وتستمتع بالشك
لا أنت تصل بذاك ولا مرسى للآخر
أما مللت السفر

*

*

ربما أنا مضطرة أن أكسر ظهري
وأعود للانكسار كي أزيلك ..
"لا بأس .. فقط نزعت جلدي مرة"
وأشعلت قلبي وجمدته حينما
أعدت تصنيعه في أحيان وسلخت كشاه
وصلبت ولم يرفعني الله كعيسى
فلست نبيًا منزلًا وليس لي شبيهًا

*

*

"لا بأس"
إني منهكة وأتمنى لو تمنحني متكأ
وألقي عليه أيامي وجسدي المتعب
للحظات أغمض عيني وربما أستيقظ بعدها

(14)

وألملم بعضي وأرحل

*

*

لم أكن ألقي أحزاني عليك لو لم تمد لي يدك

ولم أكن لأستجمع شتاتي سريعًا بعد أن تسحبني

*

*

أحببتك ربما .. لم أحبك ربما

أحب أبي .. وأنت تشبه أبي قبل أن يتشوه

أحب أبي .. وأنت تشبه أبي بعد أن تشوه

كان لي يومًا أبًا .. أراه الوجود

ولم يعد لدي شيء

كان هناك من يربت عليَّ حتى أنام

وغابت اليد التي تربت

ويوم استيقظت والحمل زاد وزهري غاب وتركني

ظلمته حسبته رحل

ولكني وجدته مسحوقًا تحت أقدامي

وما كان له أن يتحمل

وما كان له أن يحتمل

ولكني احتملت رأيتك .. فرحت!

(15)

كيتيمة لا تجد الحجارة لتأكلها
حسبتك ظهري ووددت فقط
قليلًا لو أسنده وأغمض عيني
ولكنها الأمنية التي لم تتحقق لي
أردتك وددت لو أستعيده وما أستعيده
عدت لبؤسي .. سعيدة .. وراضية
ولكني يتيمة وسأظل
أحبتك لأكتب أم أني أكتب لأحبك؟
ينتهي الحب وينتهي الحبر
ولا ننتهي من تراتيل الأقلام
ليتك ما كنت أنت!
وليتك تكون .. ما كنت لأخاف من الزمان
كنت فقط سأخافك أنت
وأخشى أن تغدر بالزمن
ما كان للزمن أن يغدر بك
ما كان ليغدر بي
لو لم تمسك بيديه وتعينه
أحبتك ربما
أحببت كوني كالجليد معك
وكالجليد المجروش حين أغضبك

(16)

مؤلم أن تكون الانصهار في فرحك
وحزنك في انتمائك ويتمك وفي الاعتدال
*
*
تمنيت لو أفقدني بين يديك
كل ما عدا حضنك سيدي أشواك
والشوك دونك مزقني
*
*
أشتاقك كالليل ما أن تغفو فيه عيني حتى تشتاقه
وما أكاد أغفو في عينيك حتى أشتاقك
ليتني غرقت في تلك العينين قبل فراقها
وليتها غرقت في عيني
وأغمضت عليها هناك أحميك فيها
سعيدة برعب! إن سعادتي ستنتهي قريبًا
أحببتك كالضوء .. وتركتني والظلام يملأ عيني
*
*
أكاد أنفطر عليها وكلي ينصهر ويتفتت
إني فقط ألملمني بمقشة وحبر
أعجبني من جديد

لا يجمع الحبر الفتات كالزيت
ولا أتكون بعدك أبدًا
ما كنت لأكون مخبورة
وإن اشتعلت وانتظرتك على موقد
وما كنت لأتبعثر وروحي كالمغناطيس تمسك بذراتي
ترفض أن تفلت منها شيئًا
وتظل روحي وأنت في حالة مد وجذر
وأنا بينها وبينك أتمزق ولا أنتسب لها ولا لك
ما منحني فرصة بك!
لن يجدي شيء
لقد قلت لله .. إني يا ربي في شقاء
وما كان شقائي اعتراضًا
إنه يا ربي الحزن ولا ذنب لي في الحزن ..
إنه يا ربي جاءني ولكني سعيدة ومطمئنة
ولكن الحزن يسكن روحي
ولابد للحزن أن يعبر فينا
اشتقت .. اشتقت
أين أنت؟
أتأتي؟
ألن تأتي؟

(17)

أأغادر نفسي؟

أأغادرك؟

*

*

سأتوه منك

وتبني التيه

لا يهمني أن أهتم

إني فقط أود لو يكون لي

قلب خارج أضلعي

أدفن فيه الذي في أضلعي ..

فقد تجمد هناك

والجليد جمد أطرافي

وأنا أحتاج أطرافي

ولا أحتاج قلبي ..

لذا أود لو أدفن قلبي فيك

وأموت إذا ما انفصلت عنك

أود لو ننبض سويًا

أود لو ننقبض سويًا

(18)

تنبض أنت بروحي

وأنبض أنا بك

*

*

اشتقت إليك

أود لو أتجرعك

لو أصاب بك

وأشقى بك

*

*

لا يحمل الحزن اسمك

لا يجمع الشتات اسمك

لا تجمع الفرقة اسمك

لا يجمع اسمك .. اسمك!

*

*

ليتك أنت فقط

معي أنا فقط

أود لو أقترب وأنساني

وأذكرني .. ليتك تتبناني!

أيتبنون الأيتام في بلادك يا سيدي؟

في بلادي يظل الأيتام أيتامًا
ولا ينتهون من اليتم أبدًا
*
*
اشتقت .. إني فقط اشتقت
أين أذهب بي
أين أذهب بك
أين أنا منك
أين أنت مني ..
*
*
لا بأس
سأنسحب منك وكأني أنسحب مني
سأنسحب مني وكأني أنسحب منك
ولن نلتقي .. وإن التقينا
إن الجليد قاسي
وإن القلوب التي تتجمد
لا تعود تذكر بعد الشوق شيئًا
يأتي النوم إن يأتي
لا يأتي إلا بك
أنام وأنا أراك
أحلم بك وأستيقظ بك
أبتسم

ما كانت تأتي بك الأحلام واقعًا
كانت تملأ واقعي بالفراغ .. بالفقد
لكل شيء أجل
كل الذي أحببناه ينتهي كما بدأ
ونحن ننتهي كما بدأنا
ولن تبكي علينا السماوات والأرض

(19)

أردت أن أبكي في عينيك
وأشكو في عينيك بكائي
وأشكو للبكاء تلك العينين كيف أبكتني
وجد بعض الحب لنقصه لا لنعيشه
أحبك لأنك سكني وسكينتي
أحبك لأنك بيتي وستري وغطائي
لكني مذ أحببتك وأنا مشردة
العراء بيتي والكبريت دفئي والبرد غطائي
والفتات غدائي والحجارة غشائي
أحببتك لأنك ردائي
ورداءي منذ ولدت يا سيدي ممزق
*
*
لا بأس ..
سأجد إسكافيًا يحيك لي قدمي
وأجد خياطًا أميرًا يرقع لي ثيابي بجلدي
ولكن من يحيك لي قلبي بأي قماش؟
بأي قماش يرقعون القلب يا سيدي
أي قماش لا يشتعل إذا ما اختلط بالجمر والحمم؟

أحببتك لأنك ردائي
وقد غلف الصقيع جسدي
علمت برحيلك القريب قبل أن يعلموا
كانوا هم معك ولم أكن
لكني أجيد قراءة عينيك
لطالما قتلتني
لطالما أحييتني
هكذا فقط أدمنت أن أكتبك
أتظلم منك إليك
ويجب أن يتوقف ذلك الآن!

الفهرس

إهداء ----------1
مقدمة ----------3
الفصل الأول----------5
الفصل الثاني ----------15
الفصل الثالث ----------21
الفصل الرابع ----------31
الفصل السادس----------43
الفصل السابع ----------53
الفصل الثامن----------63
الفصل التاسع ----------77
الفصل العاشر----------85
الفصل الحادي عشر ----------93
الفصل الثاني عشر----------101
الفصل الثالث عشر----------111
الفصل الرابع عشر ----------135
الفهرس ----------167